١٣٧

المورد

مَجلة تُرَاثية فَصليةٌ مُحكّمة

تصدرها وزارة الثقافة ـ دار الشؤون الثقافية العامة

الجلد الخامس والثلاثون ـ العدد الاول ـ سنة ٢٠٠٨

المورد

مجلة تراثية فصلية محكّمة

تُصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد الخامس والثلاثون

العدد الاول-٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ

رئيس مجلس الادارة / نوفل ابو رغيف

الهيأة الاستشارية

أ.د. خديجة الحديثي
أ.د. جواد مطر الموسوي
أ.د. فليح كريم الركابي
أ.د. داود سلّوم
أ.د. مالك المطلبي
الأستاذ حسن عزيبي

رئيس التحرير
د. محمد حسين الأعرجي

هيأة التحرير
نائب رئيس التحرير
احمد عبد زيدان
سكرتير التحرير
محمود الظاهر

التصحيح اللغوي

نجلة محمد
امل عبد الله

الإشراف الفني والتصميم

جنان عدنان لطيف
ابتسام السيد

dar-iraqculture@yahoo.com
dar-iraqculture@hotmail.com

الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الأردن: ديناران، الإمارات: ٢٠ درهماً. اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ٣ دنانير، الجزائر: ٦٠ دينارا، تونس: ديناران. المغرب: ٢٠ رهما.

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة
- الأعظمية -
ص. ب: ٤٠٣٢ بغداد
جمهورية العراق
هاتف: ٤٤٣٦٠٤٤
فاكس: ٤٤٨٧٦٠

المشاركة السنوية

٥٥ دولارا في الأقطار العربية.
في دول العالم الاخرى

المحتوى

الافتتاحية

القرآن الكريم متبوع لاتابع ..... رئيس التحرير ٣ــ٤

بحوث ودراسات

فلسفة الحضارة عند ابن خلدون..... أ.د. قيس هادي احمد

٥ــ١٠

دراسة في المنطق الاسلامي الاصيل..... د.سعد خميس علي

١١ــ٢٣

اعياد بغداد في ذاكرة شعرائها منذ التاسيس حتى نهاية العصر

العبا سي الاول.....د. حسام داود خضر الأربلي

٢٤ــ٥٩

المفارقة في شعر المتنبي .....أ.د. عبد الهادي خضير

عرض ونقد

نظرات نقدية على تحقيق كتاب تهذيب إصلاح المنطق

للتبريزي.....احمد عبد زيدان

نصوص محققة

متشابه القران لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي

القسم الثاني ..... دراسة وتحقيق د. محمد حسين آل ياسين

١٢٧ــ١٤٧

خمس صفحات خطية في النباتات

اخبار التراث العربي

اخبار التراث العربي ..... اعداد حسن عريبي الخالدي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المفارقة في شعر المتنبي

أ. د. عبد الهادي خضير
كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

لم يدخل مصطلح المفارقة ((PARADOX)) بوصفها أسلوباً أدبياً استخدمه الشعراء والكتاب، في الاستعمال الأدبي العام حتى بدء القرن الثامن عشر على الرغم من قدم مفهومه، وكانت استخداماته كثيرة ومتنوعة، الأمر الذي جعل المفارقة مصطلحاً غامضاً وغير مستقر ومتعدد الأشكال، إذ يتغير معناها من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان، بل إنها تتغير من إنسان إلى آخر فهماً وغاية، حتى استطاع عدد من الباحثين أن يحصي ما يقرب من (١٥) لوناً من ألوان المفارقة في الشعر والنثر[١]. هذا عند الغربيين أما في لغتنا العربية، فإن احداً من الباحثين ــ قدماء ومحدثين ــ لم يحاول أن يتصدى للمصطلح وتحديده، على الرغم من ظهوره واضحاً في ادبنا العربي قديمه وحديثه، ولعل سبب ذلك اختلاط مفهوم المفارقة بكثير من الأشكال البلاغية كالسخرية والتهكم وتاكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح، ولم يصادفنا في هذا الباب سوى بحث الدكتورة نبيلة ابراهيم ((المفارقة)) المنشور في مجلة فصول عام ١٩٨٧. فقد حاولت التعريف بالمصطلح وتحديده مستعينة بما لدى الغربيين عنه، وكانت نماذجها منتقاة بدقة وذكاء من أدبنا العربي قديمه وحديثه. لم تقف أكثر معجمات المصطلحات الأدبية في لغتنا عند مصطلح المفارقة[٢]، والذي تعرض منها للمصطلح فإنه اكتفى بالوقوف عند دلالته الفلسفية التي هي ((إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما بالا ستناد الى اعتبار خفي على هذا الرأي العام وقت الإثبات))[٣]. كما أشارت هذه المعاجم إلى لون من ألوان المفارقة سمته ((المفارقة الزمنية)) وهي ((وضع الشيء أو الحادثة الحاضرة في غير مكانها التأريخي كذكر الساعة في قصة تدور حوادثها في عهد الرومان كما فعل شكسبير في رواية يوليوس قيصر))[٤]. ولا شك في أن المفارقة بهذا المفهوم المحدود لها لا تعبر عن أسلوب أدبي بقدر ما تصور مأخذاً فكرياً أو خطأ تأريخياً يقع فيه الشاعر أو الكاتب قاصداً أو غير قاصد.

ولعل ((معجم مصطلحات الأدب)) كان أكثر هذه المعجمات توفيقاً حين وقف عند المعنى البارز في المفارقة وهو ((التناقض الظاهري)) الذي عرّفه بانه عبارة تبدو متناقضة أو غير معقولة في ظاهرها مع أنها بالفحص والتأمل يتبين أن لها أساساً من الحقيقة وذلك كقول أبي نواس يخاطب حبيبته:

تعْجَبينَ مِنْ سَقَمِي
صحَّتي هيَ العَجَب[٥]

لقد حذّر دارسو المفارقة من وضع تعريف محدد لها، ورأى عدد منهم أن ذلك ((أشبه بالإمساك بالضباب))[٦]، ذلك أنها مختلفة الألوان والأشكال، فقد تكون المفارقة جملة واحدة وقد تمتد لتشمل العمل الأدبي كله، كما أن الهدف منها متغير كذلك، فقد تكون مجرد السخرية وقد تكون موقفاً فكرياً وفلسفياً يستجلي حقائق الأشياء وكوامن النفس الإنسانية. سنحاول أن نضع تعريفاً للمفارقة كما تجلت في شعر المتنبي ما دامت دراستنا تقف عند هذا الشاعر وتدرس ظاهرة محددة في شعره هي المفارقة فنقول: ان المفارقة تعبير لغوي بأسلوب بليغ يهدف الى استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهر المتناقض للعبارة والوصول الى المعاني الخفية التي هي مرام الشاعر الحقيقي.

إن هذا التعريف للمفارقة يتجاوز المفهوم الشائع لها من أنها تناقض كلام المرء مع مايعنيه، أو أن يقول شيئاً ويعني غيره، فهذا مفهوم أولي للمفارقة، فهي ليست مجرد كلام يبدو متناقضاً، أو على غير مقصده الحقيقي، بل إنها مهارة لغوية في صياغة هذا الكلام الأدبي المراوغ الذي يدفع القارئ الى تجاوز المعنى السطحي للعبارة وعدم استخلاص تفسير واحد، بل سلسلة من التفسيرات المتغيرة، إنها ذكاء متميز في استخدام اللغة لتحقيق علاقات ذهنية بين الألفاظ تتجاوز المعنى الظاهر وتلمح في الوقت نفسه بالمعنى الكامن الذي يشد القارئ بعلاقة التضاد بينه وبين المعنى الأول.

كما إن الاشارة الى بلاغة أسلوب المفارقة وفنيته من شأنها أن تغلق الباب بوجه ((النكتة)) التي ترتكز على قاعدة حدوث غير المتوقع، وهو ما تلتقي فيه بالمفارقة والطرفة كما في قولنا: إنّ سارقاً سُرقَ أو إنّ مدربَ السباحة قد غَرقَ، فلا يمكن عَدُّ هذه الأخبار الطريفة أو المتصفة بالمفارقة عملاً أدبياً، لأن المفارقة بمفهومها الأدبي صنعة لغوية تستلزم مهارة فنية عالية وقدرة على تحريك اللغة، وترك بعضها يرتطم ببعض بما يحرك ذهن القارئ ويزعزع قناعته ويهدم يقينه ويفكك نظامه المعرفي.

وكما تفترق المفارقة عن ((النكتة)) أو ((الطرفة)) في الأسلوب، تفترق عنهما كذلك في الهدف ((فالنكتة)) أو ((الطرفة)) تهدفان الى الضحك لذاته، غير أن البسمة التي ترسمها المفارقة على الوجوه بسمة مشوبة بحزن يشفّ عما في النفس من ألم وحزن بل إنها ((قد تكون أكثر تأثيراً إذا اجتمع فيها العنصر الكوميدي والعنصر المؤلم))[٧].

وإذ يستبعد هذا التعريف ((النكتة)) و((الطرفة)) فإنه يميز المفارقة من بعض الأبنية اللغوية التي قد تحوي عنصر المفارقة، كما في المجاز والاستعارة، ذلك أن هذه الأشكال اللغوية قد تصنع المفارقة ولكنها تقف بالمعنى عند حد معلوم، ما إن يتبدى للقارئ حتى يزول عنصر المفارقة، كقول الشاعر:

قَامَتْ تُظَلِّلُني مِنَ الشَمسِ
نَفسٌ أَعز عليَّ من نفسي
قَامَتْ تُظَلِّلُني ومِنْ عَجَب
شمسٌ تُظللني من الشمس

فقوله ((شمس تظلني من الشمس)) مفارقة، ولكن بعد أن يدرك القارئ أن الشمس الاولى استعارة لانسان جميل تنتهي المفارقة وينغلق المعنى، أما المفارقة فإنها (لا تغلق النظام المجازي بل تُعزز تكرار انحرافها))[٨].

لقد أكد كثير من النقاد والدارسين اهمية المفارقة في الأدب، حتى ذهب بعضهم الى ((أن الادب جميعاً يكاد يقع في باب المفارقة))[٩]، وفي الشعر عُدَّتْ ((من الصفات المميزة للشعر الرفيع))[١٠]، وهي عندهم صفة للأدب العظيم فهي التي تبعث فيه الحياة... يقول أناتول فرانس: ((إن عالماً بلا مفارقة يشبه غابة بلا طيور))[١١]... ولكن في الوقت نفسه حذر نقادٌ آخرون من الإفراط في المفارقة أو جعلها هدفاً بذاتها، فقال أحدهم معلقاً على قول أناتول فرانس: ((ولكننا لا نريد لكل شجرة أن تحمل من الطيور أكثر مما تحمل من الأوراق))[١٢]، في إشارة الى الخوف من الإفراط في المفارقة، و

((كونه)) خيرٌ من حدد العلاقة بين المفارقة والأدب بقوله: ((المفارقة هي ذرة الملح التي وحدها تجعل الطعام مقبول المذاق))[13].

ولعلّ سبب هذا التحذير من المفارقة والخوف من الإفراط فيها هو ان المفارقة عمل عقلي، والشعر في أخص خصائصه عمل يرتبط بالعاطفة أي بالمشاعر والأحاسيس ولذلك فإن الاغراق بالمفارقة في الشعر يعني تغليب العقل على العاطفة في الشعر بما يجعله عملاً فكرياً غير مستساغ... ولكنّ قليلاً من الفكر ممزوجاً بالعاطفة المتأججة الصادقة توجههما مهارة لغوية فائقة، من شأن ذلك كله أن يجعل الشعر أو المفارقة في الشعر عملاً ابداعياً متميزاً. وهنا يحق لنا أن نسأل الى أي مدى استطاع أبو الطيب المتنبي أنْ يقدم لنا طعاماً طيب المذاق لم يفسده بكثرة الملح؟.

المتنبي والمفارقة

يُعد صانع المفارقة عنصراً مهماً من عناصر نجاحها إذ لانتهيأ لأيّ كان فلابد من استعداد فطري أصيل لها فضلاً عن ظروف حضارية وفكرية تغذي هذا الاستعداد وتنميّه.

يرى ((كير كجورد)) أن المفارقة تتحقق على يد الفنان الذي يجري في دمه الإحساس العميق بالخدعة الكبرى في الحياة[14]، ولعل شاعرنا المتنبي كان المثال الحي لهذا الفنان الذي لم تخدعه الحياة ولم يهادنها أو يسايرها، إنه جاء الى هذا العالم ليختلف معه، وإذ لم ترضه هذه الحياة راح يفتتها تفتيتاً رائعاً مُظْهِراً كل تناقضاتها مازجاً بين نفسه وأشيائها في محاولة للوقوف على حقائقها.

تقول بحوث علم النفس إن أفضل صانع للمفارقة هو صاحب الذات الترانسندنتالية وهي ((الذات السلبية التي لا تستطيع أن تحبس نفسها داخل التأريخ والواقع، بل تتجاوزهما وتعلو فوقهما، تاركة نفسها لعفوية الفكر. وهي الذات المغالطة التي تخضع سلبيتها لموضوعية مزعومة))[15]، وهذه هي ذات المتنبي، إذ لم يستطع أن يعيش بعيداً عن أحداث عصره، أو أن يحبس نفسه داخل تاريخه الخاص، فقد أحسّ بواقعه إحساساً عنيفاً، ولكنه لم يذب فيه بل تسامى فوقه وظل يطمح الى تجاوزه وتغييره، وربما كان هذا سبب تطرفه الفكري ((إذ يبدو في تأمله للواقع تتجاذبه من جهة، قوى متقابلة قد لا يتيسر الجمع أو التوفيق بينها، ويخضع من جهة أخرى إلى نزعاته المثالية فلا يتسنى له الفرز والتأني في تحليل المواقف))[16].

لقد كانت تناقضات عصره الكثيرة سبباً وجيهاً تعترف بوجاهته بحوث علم النفس في تركيبة المتنبي المعقدة ونفسه القلقة الحائرة فقد ازدحم عصره بالتناقضات التي تُحدث (لا سيما عند الشاعر المرهف الحس) بلبلة نفسية وفكرية نستطيع أن نرد اليها ثورة المتنبي العنيفة في شعره على عيوب عصره، إنه ما يمكن أن نسميه (التوتر بين الذات والموضوع)) حين تحس ذات الشاعر بالغربة داخل المحيط الحسي لها ينشأ التوتر بين الذاتِ والموضوع الذي هو في حقيقته توتر بين الواقع الأليم والحلم المنشود، فقد كانت ذاته ذاتاً واعية حاولت ان تحمي الآخرين مما يراد بهم وماهم عليه فعلاً ولما لم تستطع هذه الذات أن تحقق ذلك اكتفت بحماية نفسها من الانغمار في الواقع والارتهان له، وبذلك تبدو الذات الترانسندنتالية هي ((الأنا المنفصلة عن الـ (نحن) المجتمعة في وحدة))[17]، وهذا ما أفصحت عنه أشعاره:

وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهم
ولكن مَعْدنُ الذهبِ الرغام[18]

أنا في أمة تداركها اللـ
ـه غريبٌ كصالح في ثمودِ[19]

ان هذا الانفصال عن الآخرين والانسلاخ عنهم لا يعني بأي حال من الأحوال موقفاً أنانياً أو نرجسياً بل يعني وقوف الفكر المثالي عاجزاً أمام عالم التجربة الفعلية فهو لا يقدر على تشكيل الآخر وتكوينه بما ترغب فيه هذه الذات، وبذلك ترتد الى نفسها لتجعل منها هذا العالم المثالي وهذا ما فعله المتنبي، فقد خلق من نفسه ذاتاً مثالية أو في الأقل أراد لها أن تكون كذلك، وهو إذ حاول ذلك في عالم الواقع وسعى اليه فلم يفلح، عاد الى عالمه (المثالي) (المنظم) الذي لا يتقيد بقوانين النسبة أو الزمان والمكان، ونعني به عالم الشعر لتحقيق هذه الذات.

ولا شك في ان هذا الموقف المتأزم لذات المتنبي بين الطموح

والسبيل إليه هو الذي فجّر في نفسه هذه المتقابلات الثنائية التي جاءت في صورة مفارقات قدتبدو في ظاهرها متناقضة ولكنها في واقعها (وعند تدقيق النظر فيها) هي وسيلة الشاعر للكشف عن الأبنية الجوهرية للحياة بعد إزاحة ما تراكم عليها من تفصيلات وجزئيات قد تخدع الانسان الاعتيادي لكنها لا تمنع الشاعر ذا النظرة الشمولية والواعية والفكر العميق النافذ من أن يلج حقائق الأشياء فيوحد بينها، فإذا البياض درجة في السواد واذا الضحك المستيري تجسيد لحزن الإنسان العميق، وحتى الجمال الذي يخلب عقولنا إنما هو القبح الذي تنفر منه نفوسنا:

مما أضرّ بأهْلِ العشق أنّهُمُ
هَوُوا وما عَرفوا الدنيا ولا فَطنوا
تَفْنَى عيونُهمُ دَمعاً وأنفُسُهُمُ
في إثر كُلّ قبيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ[20]

واذا التصريح بالرضا هو التعبير البليغ عن السخط:

أريْكَ الرضا لو أخْفَت النفسُ خافيا
وما أنا عن نَفسي ولا عنكَ راضيا[21]

وربما كان مانراه صدقاً هو الكذب بعينه:

ومَنْ صَحِبَ الدُنيا طَويلاً تَقلّبَتْ
عَلَى عَيْنِه حَتى يرى صِدقَها كذبا[22]

وقد نعود لنبكي ماكنا نبكي منه:

وَشَكيّتي فَقْدُ السّقامِ لأنّهُ
قَدْ كانَ لما كانَ لي أعضاءُ[23]

إنها فلسفة متكاملة ترى العلاقات الحقيقية بين الأشياء وتحس الجدل بين طبائعها، مصوغة في شعر يتدفق شعوراً وفكراً.

ويزداد إحساس الذات الترانسندنتالية بالمفارقة عندما تجد نفسها وهي العاشقة للحرية والانطلاق محاطة بعوامل كثيرة تجعلها تشعر بنقص شديد في حريتها. وبمقدار هذا الاحساس يكون تمردها على القوانين وقواعد المنطق والمعقول.... وبهذا وحده يمكننا أن نفسر هذه المفارقات المحيرة في سلوك المتنبي الشعري حين يخص نفسه باغلب قصيدة المديح، ولا يترك لممدوحه إلاّ القليل إنه كسر لقوانين المديح كما توارثها الشعراء، إنها الضحكة الساخرة التي تطلقها ذات المتنبي على القوانين المكبلة لحريتها، فهي تؤكد لهؤلاء الممدوحين أنهم إن كانوا أسياد الواقع، فإنما سيدة العالم الآخر، عالم الخلود، عالم الشعر، وبذلك كان المتنبي يضحك من ضحاياه (ممدوحيه) الذين كانوا يعتقدون خضوع المتنبي لشروطهم وقوانينهم، فتمرد على هذه القوانين في عالمه الخاص.

يؤكد ذلك أن سلوك المتنبي هذا يشيع في قصائده التي قالها في ممدوحين اضطر الى مدحهم، في حين يضعف أو يكاد ينعدم عند أولئك الذين أحبهم أو كان يشعر بالرضا عنهم، وحتى هؤلاء ما كانوا بمنجى من لعبة المتنبي هذه حين يعاوده ذلك الإحساس بالاضطهاد والإهمال[24].

ومديحه (عموماً) يمكن أن يدخل في باب المفارقة، ذلك أنه هو المستفيد من ذلك المدح وهو المخلّد فيه لا هُمْ، فهذا المديح وأخبار جوائز ممدوحيه له قد شهرت وذاعت بين الناس فعظم قدره وذاع صيته فيكون بذلك هو ((الممدوح على الحقيقة وهم المادحون))[25].

وقد تتجسد ثورة المتنبي نتيجة الإحساس المر بفارق الوعي بينه وبين الناس، فهو أبداً حانق على الناس يهاجمهم وينتقص منهم لأنهم لا يماثلونه في فهمه للواقع وتناقضاته، لسبب بسيط هو أنهم لا يفكرون مثله، بل إنهم كفوا عن التفكير مطلقاً، فصاروا تجسيداً للمفارقة المتصلة بعظم الأجساد وصغر العقول:

ودَهْرٌ ناسُهُ نَاسٌ صغارٌ
وإنْ كانتْ لَهمْ جُثَثٌ ضخامُ[26]

إنه يدرك هذه العلاقة التقابلية بين الأجسام والعقول، فما إن يضخم أحدهما حتى يصغر قبيله... وأين هؤلاء الناس مما يريده المتنبي لهم.

وإذا ما انتقلنا من ذات المتنبي التي كان لها أثرها في سلوكه اسلوب المفارقة، الى ظروفه الذاتية التي كونت الإطار الخاص لشخصيته فإننا نجد أن حياة المتنبي لم تكن هادئة مطمئنة، بل كانت

مضطربة أشد الاضطراب، فيها من الغموض الشيء الكثير، مما ساعد على أن تحاك روايات كثيرة عنه تتسم هي أيضاً بالمفارقة، فمنهم من رفع نسبه الى أشراف العلويين ومنهم من انحطّ به فجعله ابن سقاء في الكوفة، وهو على شهرته اختلف الرواة في أمه كما اختلفوا في كنيته وسببها.. لقد عاش حياة مضطربة تخرج في سيرها عما ألفه الناس في حياة من سواه من الشعراء فانعكس اثر ذلك واضحاً في شخصيته، فمن مظاهر المفارقة في شخصية المتنبي أن هذا الشاعر الذي جاب الآفاق وخالط أجناساً مختلفة من البشر ((ينطوي على نفسية انعزالية في باطنها، قد لا تقل عن انعزالية أبي العلاء، والذي منعه من أن يسبقه فيصبح رهين داره طموحه وآماله الواسعة وحيويته))[٢٧]. لقد كان مضطراً الى مخالطة الناس على سوء رأيه فيهم ولو تهيأ له لاعتزل العالم الذي لم يستطع التآلف معه ومسايرته.

لقد تنبه الدكتور طه حسين الى هذه المفارقة البارزة في حياة المتنبي، بين رأيه في نفسه وسيرته بين الناس سواء في طموحه للحرية ودفعه بنفسه الى السجن أو التنازل عنها في بلاط الممدوحين، وبين اعتزازه الكبير بنفسه وإذلالها على باب الممدوحين[٢٨].

لقد جمع صفات متناقضة أوضحها تحمله للذل والانكسار في أوقات كثيرة من حياته، وهو الأبي الذي يحس في نفسه كبرياءها وعزها وارتفاعها عن صغائر الأمور، ولكننا نجده يحتمل من الضيم والهوان مالا يحتمله من سواه ممن ليست له نفس المتنبي.

لقد حاول بعض الباحثين أنْ يَرُدَّ هذه المفارقة في حياة المتنبي الى أنه ((يمتلك طاقة ديناميكية هائلة لم تأتلف وظروف حياته وأحداث زمانه، فظلت حبيسة تبحث عن منفذ ولا تجده وتتمثل في تناقض يتخذ أشكالاً متنوعة من إقبال وإدبار على أمر بعينه، ومديح وهجاء لشخص بذاته، وحلّ وترحال، وحدّة وانفعال ورفعة وانخفاض، وقبول هبات لا تتفق ونوازع الكبرياء في نفسه))[٢٩] كما أعيدت الى أنه ((قوي الحس حاد المزاج عنيف النفس مندفع بحكم هذا كله الى الغلو والاسراف))[٣٠]... ونحن لا نستطيع أن نغض الطرف عن روح المتنبي الحسّاسة السريعة التأثر بما يجعل ردود أفعالها قوية ومتطرفة تنتقل من أقصى اليمين الى أقصى اليسار، وهذه هي طبيعة الروح الشاعرة والذات العاطفية فهي سريعة الفرح، وسريعة الحزن تنفتح على الآخرين، ثم سرعان ما تعاود الانكفاء على نفسها.

إن هذا التناقض في حياة المتنبي وأفكاره والمفارقة بين رأيه في الآخرين وسلوكه معهم، دفعا بعض الباحثين الى الشك في صدقه وربما كان ذلك سبباً للحط من قدره عند من لا يلتمس له عذراً[٣١]. ونعتقد أن الأمر ابسط من أن يُحمَّل أكثر من طاقته، فمن منا راض عن كل ما حوله، ومن منا لا يضطر الى مجاملة أناس يسيء الظن بهم أولا يودهم، ومن منا لا يقول شيئاً ثم يضطر الى سلوك ما يخالفه. ولكن الفرق بيننا وبين المتنبي، أننا لسنا شعراء، أما المتنبي فشاعر وهذا يعني شيئين: أولهما إنه قادر على البوح بأسرار نفسه وإبراز أفكاره، أي إنه لا يستطيع أن يخفي عنا صورة ذاته وهواجس نفسه المضطربة الجياشة، وثانيهما أن آراء المتنبي وأفكاره قد خُلدت في أشعاره، وهذا يتيح للآخرين استذكارها ومراجعتها، ثم قياسها بسلوكه وتصرفاته، الأمر الذي يُسهِّل النيل منه لا سيما اولئك الذين ناصبوه العداء وراحوا يتحينون الفرص للإيقاع به والانتقاص منه. ولكن دون أن يعني هذا إنكار خصوصية شخصية المتنبي وتميزها.

وإذا ما انتقلنا من الإطار الذاتي لشخصية المتنبي الى الإطار العام لها ونعني ظروف عصره التي عاش فيها وما جرى في زمانه من أحداث فإننا نجد أن قاسمها المشترك هو (المفارقة) بما قوى إحساسه بها وغذاه في نفسه.

فعلى المستوى السياسي، كان الحكم عربياً ــ أو هكذا يفترض أن يكون ــ ولكن الواقع أن الحكم أو السلطة الفعلية كانت بيد العناصر غير العربية، وكان الخليفة العباسي وهو القائد السياسي والروحي والعسكري للمسلمين الذي يذكر اسمه في أرجاء هذه الإمبراطورية العظيمة عاجزاً عن إصدار أوامره حتى الى عبيده وجواريه.

ولا نستبعد أن إحساس المتنبي العارم بهذه المفارقة وشعوره بسيطرة غير المؤهلين على مقاليد الأمور، ووصول الجهلة والأميين الى أعلى المراتب، وحرمان أهل العلم والأدب منها قد غذى في نفسه الإحساس بالمفارقة.

كما كانت المفارقة بادية على الحياة الاقتصادية، بين أناس بلغت ثرواتهم آلاف الآلالف واناس لا يجدون ما يسدون به رمقهم، وقد قاد هذا الى مفارقة على المستوى الاجتماعي تمثلت بانحصار الثروة بأيدي الجهلة والأغنياء واضطرار الشعراء والعلماء وأهل الفكر إلى الوقوف على أبوابهم طمعاً في رفدهم وعطاياهم ، يقوي هذه المفارقة ويعمقها في نفسه ما لاحظه من سلوك الناس مع هؤلاء وتعظيمهم لهم. ولعل حادثة البطيخة التي أراد المتنبي شراءها بخمسة دراهم ولكن البائع رفض بيعها له ثم جاء أحد الأغنياء واشتراها بعد توسل البائع وحَمْلها له إلى داره بدرهمين فقط، هذه الحادثة وحوادث اخرى مشابهة، لعلها جميعاً ضخمت موقف المتنبي من بناء عصره الاجتماعي وشعوره بمفارقته الكبرى.

بذا يمكننا القول إن المفارقة في شعر المتنبي كانت نتاج عصره ومعبرة عنه، وكان المتنبي نفسه نتاج هذا العصر المتناقض، فكانت المفارقة عنده ((مهرباً أو عزاء أو وسيلة فعل في حضارة يعيش فيها، وهو يرفضها وضمت أنظمة وجماعات تفرض سلطانها عليه، بحكم وجوده وهو ينكرها ويتمرد ثم يثور عليها))[٣٢]... فكانت مفارقته تعبيراً عن شعور بتناقضات عصره وكان ((ولع المتنبي بتصوير المظاهر المتغيرة التي يتخذها الزمان ((الدهر والدنيا والليالي والأيام)) جعله يطارد المفارقات في تقلباتها المتعددة))[٣٣].

المفارقة في شعر المتنبي

لقد كان المتنبي صوتاً متفردا في تأريخ الشعر العربي، وقارئ شعره يستطيع ان يتلمس هذا التفرد عن كل الأصوات الشعرية التي سبقته أو عاصرته أو جاءت بعده، فلهذا الشعر خصوصياته التي جاءت من تكرار أنماط شعرية أو اساليب خاصة صارت (عادة) شعرية ينفرد بها سواء ما يتعلق منها بالمعنى أو ما يسمى أساليب التعبير وصيغه.

أما أبو تمام فقد كان قريب الشبه من شاعرنا في استخدامه المفارقة في الشعر فهو القائل:

يَنَالُ الفَتَى من عَيْشِهِ وهْوَ جَاهِلٌ
ويُكدي الفتى في دَهرِهِ وهو عَالِمُ
ولَوْ كَانت الأرزاقُ تجري على الحجا
هَلَكنَ إذن مِنْ جَهْلهنّ البَهَائمُ[٣٤]

وهو القائل في مدح ابن أبي دؤاد:

قَدْ بَنَتْكُمْ غَرْسَ المَوَدّةِ والشحـ
ناء في قلبِ كلّ قارٍ وبادِ
أبغَضُوا عزكمْ ووَدّوا نداكم
فَقَرَوْكُم من بغضَةٍ ووِدادِ
لا عَدِمْتُمْ غَريبَ مجد ربَعتمْ
في عُراهُ ((نوافِرَ الأضدادِ))[٣٥]

وقد تنبه النقاد الى مصطلحه الجديد ((نوافر الأضداد)) إشارة الى المفارقة في شعره، قال المرزوقي: ((يعني نوافر الاضداد ما قاله في البيت: ((فَقَرَوكم من بغضة ووداد)) يريد ما في قلوب الناس من الحسد لشرفهم، وارتفاع منزلتهم، ومن الحب والود لجودهم وإفضالهم[٣٦].

وهكذا يمكن أن تقف على نماذج كثيرة للمفارقة في شعر أبي تمام[٣٧]، لكنها تبقى دون مفارقات أبي الطيب المتنبي مع ((أنهما حكيمان)) كما أشار الى ذلك القدماء وربما كان ذلك ما يفسر لنا شيوع المفارقة في شعريهما إذ تستلزم المفارقة ذكاءً حاداً ووعياً فكرياً متميزاً وهو ما توافر عليه الشاعران، فكان شعرهما يصدر من العقل ويخاطبه، ولكن يظل لأبي الطيب المتنبي امتيازه، فهو وإن كان الشعر عنده ممارسة عقلية يتبين فيها ذكاء العقل ومهارته، استطاع أن يظل فيه بعيداً عن صورية المنطق كما تجسدت عند أبي تمام، في رحلة شاعرية لا يقدر عليها سواه، تقرأ هذا كله في شعره فتتمتع وتطرب دون أن ينال عمق الفكرة من شاعرية التعبير، ذلك ((ان الجدل الشعري عند المتنبي الذي ياخذ صورة المفارقات يتخطى

الحدود الأرسطية القائمة على البناء الشكلي للقضايا واستخلاص النتائج من المقدمات والمعيار هو التطابق بين المقدمات والنتائج الى جدل طبائع الاشياء))[38].

لقد تنبه النقاد العرب ــ القدماء والمحدثون ــ الى أسلوب المفارقة في شعر المتنبي واثرها في تفرده. يقول العكبري: ((اجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبي الطيب نوادر لم تأت في شعر غيره، وهي مما تخرق العقول))[39]، ولا شك في أن وصف شعر المتنبي بأنه خارق للعقول كافٍ للتعبير عن أثره في عقول متلقيه فإنه ما فيه من مفارقات تكاد تحطم جهاز الوعي عند المتلقي بعد أن يقلب المعادلات ويبادل بين مواقع الأشياء، وهو ما يتأكد لنا من تعليقه على قول المتنبي:

أَرانِبُ غَيْرَ أَنَّهم ملوكٌ

مُفَتَّحةٌ عيونُهُم نيامُ

إذ قال عنه: ((المعهود في مثل هذا أن يقال هم ملوك إلا أنهم في صورة الأرانب، فزايد وعكس الكلام مبالغة، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعاراً فيهم.. هذه عادة له يختص بها))[40]، فالعكبري يحس المفارقة في شعر المتنبي ويتلمس طبيعتها ولكن مصطلحات عصره لم تكن لتعينه على التعبير عما يميز هذا الأسلوب من التعبير الشعري، وإذا كان هذا شأن ناقد عربي قديم لم تسعفه مصطلحات عصره للتعبير عما أحسه في هذا الشعر، فإن ناقداً معاصراً هو الدكتور طه حسين قد دار طويلاً حول مصطلح المفارقة ولكنه لم يستخدمه وهو يشعر بما شعر به العكبري من قبل... يقول طه حسين معلقاً على إحدى قصائد المتنبي ((وأنت إذا أخذتها ــ القصيدة ــ تفصيلاً استطعت أن تتبين فيها خصلتين فنيتين هما الآن ــ وستكونان دائماً ــ القوام الفني لشعر المتنبي....فأما الخصلة الأولى فهي المطابقة التي يحبها المتنبي أشد الحب، ويستخرج منها فنوناً من الجمال... تؤثر في العقل والذوق والحس جميعاً... ذلك أن المتنبي يحسن المقابلة بين الأضداد في أنفسها، كما يحسن المقابلة بين الألفاظ التي يختارها ليدل بها على هذه الأضداد... والخصلة الأخرى المبالغة التي يعمد اليها المتنبي.... فمجال الشعر عند المتنبي في هذا الطور وفي الاطوار التي تليه راجع دائماً الى هاتين الخصلتين الفنيتين: المطابقة من ناحية والمبالغة من ناحية اخرى، يجمع بينهما الشاعر حيناً ويفرق بينهما حيناً[41]، وما هذا الأسلوب الذي يشير اليه الدكتور طه حسين الذي يجمع فيه المتنبي بين المطابقة والمبالغة إلاّ المفارقة كما توضحت في الأمثلة التي اختارها طه حسين لهذا اللون من شعر المتنبي. كما تنبه الى المفارقة في شعر ابي الطيب آخرون منهم: الدكتور عز الدين إسماعيل[42]، والدكتورة نبيلة إبراهيم[43]، مشيرة الى كثرتها في الشعر، والدكتور عبد السلام نور الدين الذي سماها بهذا الاسم ((المفارقات))[44]، وكذلك فعل الناقد محمد شرارة[45].

كما تنبه اليها الدكتور المنجي الكعبي وعدّها ظاهرة غريبة في شعره لا نعرفها عند من سبقه ((ولعل أبا الطيب أن يكون هو أول من ابتدعها في الشعر العربي))[46]، ورجّح أن يكون هذا الكلام الذي يحتمل ظاهراً وباطناً قد تعلمه المتنبي من المصريين فأعجبه واقتبسه. وقد توضح لنا فيما سبق أن المفارقة موجودة في أشعار السابقين ولكن المتنبي أكثر من استخدمها حتى عرف بها أما أن يكون المتنبي قد تعلم هذا الضرب من التعبير من المصريين فلا نعتقده محقاً في ذلك، لأن هذا التعبير لم يظهر في شعر المتنبي بسعد اتصاله بكافور، بل شاع فيه منذ مراحل متقدمة من حياته.

أنواع المفارقة في شعر المتنبي

تعددت أشكال المفارقة في شعر المتنبي كما تعددت أغراضها، فقد تقوم هذه المفارقة على استثمار ألفاظ اللغة وأصواتها ودلالاتها، وقد تكون بناءً فكرياً قائماً على إنعام النظر في الواقع والأشياء، وقد تأتي تأكيداً لذات المتنبي المتعالية المتسامية وربما كانت ضحكاً من الواقع وشخوصه ويمكن أن نحصر وجوه المفارقة وأنواعها كما تبدت لنا في شعر المتنبي بما يأتي:

١. المفارقة اللغوية

هي المفارقة التي تستمد من الالفاظ وإمكاناتها الدلالية والصوتية قدرتها على إحداث نوع من المفاجأة العقلية التي تصدم وعي القارئ

وتتركه حائراً قبل أن تحفز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهري للعبارة وصولاً الى مراد الشاعر.

ولما كانت المفارقة في أخص خصائصها صنعة لغوية، فلابد لصاحبها أن يكون ذا مهارة فائقة في تحريك اللغة على المستويين الدلالي والتركيبي، دون الوقوع في الخطأ اللغوي أو التعبيري. وقد امتلك المتنبي زمام لغته واستطاع أن يوجهها نحو تجربته، ومن خلالها استطاع أن يمسك بوعي قرائه ليوجهه كيف يشاء، فهو اسير حركة لغة المتنبي، هذه اللغة التي تبرز طبيعة المتنبي الانفعالية وروحه القلقة وتوتره النفسي، وهو ينعم النظر في حقائق الوجود واشيائه فيقلبها في عين قارئه أو يجعلها تدنو منه بالقدر الذي تقرب فيه منه، كل ذلك في لعبة لغوية ماهرة لا يستطيعها الا المتنبي دون تعقيد أو غموض، لأن المتنبي يدرك جيداً أن التعقيد والغموض يدفعان القارئ بعيداً عن النص فيفقد المتنبي بذلك صلته بقارئه وتتعطل عملية التلقي والتأثير.... مع التذكير بحقيقة مهمة هي أن قارئ شعر المتنبي ليس قارئاً ذا إمكانيات اعتيادية، ذلك أن المفارقة في شعره فن يحتاج الى قارئ متميز قادر على استكشاف حقيقتها دون الانخداع بظاهرها المتناقض، إنه يريد من قارئه أن يكون بمستوى وعيه هو حتى لا يعود محض قارئ للمفارقة بل شريكاً فيها.

وأبرز أشكال المفارقة اللغوية عند المتنبي ذلك النوع من المفارقة الذي شُهر به، وهو الذي يقوم على أساس صدم المفردات بعضها ببعض لفظياً ودلالياً مما يمثل سمة مميزة من سمات لغة المتنبي كقوله:

أَسَفي على أَسَفي الذي دَلَّهْتني
عَنْ عِلْمِه فيه عَلَيَّ خَفاءُ
وَشكيَّتي فَقْدُ السَقّامِ لأَنهُ
قَدْ كانَ لَما كانَ لي أعْضَاء[47]

هنا يستثمر المتنبي اللغة استثماراً رائعاً ليحقق المفارقة، فقد اعتاد الناس أن يأسفوا على ذهاب أشياء عزيزة على أنفسهم أو هي أثيرة لديهم أما أن يأسف المتنبي على الأسف فهذه مفاجأة عقلية تربك القارئ، أول وهلة ولكنه حين ينعم النظر فيها يدرك سرها، فالمتنبي يأسف على الأسف الذي ذهب عنه بعد أن ذهب عقله يوم الفراق فلم يحس به، فهو يأسف على ذلك الأسف الذي تحير عن علمه، وهو ما عاد لتأكيده في البيت الثاني، فالناس تشكو السقام، ولكن المتنبي لا يشكو السقام، إنما صار يشكو فقد السقام، ذلك أنه كان يحس السقام يوم كان انساناً سوياً له أعضاء تحس وتتأثر، أما اليوم فإنه قد أفناه الحب فلم يعد يشكو السقام، إنه موجود بحكم المعدوم. وإذا كان الدكتور طه حسين قد أرجع هذه المفارقة الى كون المتنبي يخاطب في قصيدته هذه أبا علي الأوراجي الذي كان يذهب مذهب المتصوفة ((فهو يصطنع له مذهب المتصوفة في الكلام والتفكير معاً))[48]، فإننا نقول: قد يصدق كلام طه حسين على هذه القصيدة ولكن بماذا نعلل شيوع المفارقة في شعر المتنبي وبروزها سلوكاً لغويا ثابتاً للمتنبي سواء في حضرة من يذهب مذهب المتصوفة أو مَنْ سواه، فهو القائل في مواساة سيف الدولة:

طوى الجزيرةَ حَتى جاءني نبأ
فَزِعْتُ فيه بآمالي إلى الكَذِبِ
حتىَ إذا لَمْ يَدَعْ لي صِدْقُه أَملاً
شرِقْتُ بالدَمعِ حتّى كادَ يَشْرَقُ بي[49]

وفي مدح بدر بن عمار:

إذا سَألُوا شَكَرْتُهُمْ عَلَيه
وإنْ سَكَتوا سألتهُمُ السَؤالا
وأسْعَدُ مَنْ رأينا مُستَميحٌ
يُنيلُ المُستَماحَ بأن يُنَالا[50]

وهو القائل في صباه:

أنا عاتِبٌ لتعتبكْ
مُتَعَجِّبٌ لتعجبكْ[51]

ومن قصيدته في مدح شجاع بن محمد بن عبد العزيز قوله:

جَرَى حُبُّها مَجْرَى دَمي في مفاصلي
فأصْبَحَ لي مِن كلِ شُغْلٍ بها شُغْلُ[52]

وقوله يمدح علي بن منصور الحاجب:

المُنهبَات عيونَنَا وقلوبَنَا

وجناتِهنَّ الناهباتِ الناهبَا[53]

فهذا وغيره كثير يؤكد أن هذا اللون من التعبير سلوك شعري عند المتنبي وهو ميزة أسلوبية له كما يعترف طه حسين نفسه حيث يقول معلقاً ((ولكني قدمت لك أني أرتاب في ارتياب الناس هذا، إن صح أن نصطنع أسلوب المتنبي في الحديث))[54]، فهو يقرر أنه اسلوب المتنبي الذي عرف به، فهو القائل مخاطباً علي بن أحمد الانطاكي:

تَمرَّسْتُ بالآفات حَتّى تركتُها

تَقُولُ: أمَاتَ الموتُ أمْ ذُعِرَ الذّعرُ[55]

إن هذا اللون من التركيبات اللغوية الجديدة لا يصدر إلا عن المتنبي، فهو وحده القادر على أن يقيم علاقات جديدة بين الألفاظ لم يجرؤ غيره عليها.... يقول مخاطباً سسيف الدولة ومعاتباً إياه على تقصيره في الإقبال إليه والتسليم عليه:

وأعْلَمُ أنّي إذا ما اعتذرتُ

إليكَ أرادَ اعتذاري اعتذارا[56]

فالمتنبي يحاول أن يجد تفسيراً لصدود الأمير، ويراجع نفسه خوفاً من أن يكون قد صدر عنه ما حمل الأمير على أن يسلك هذا السلوك معه، ولكنه لا يجد شيئاً من ذلك، وهكذا فإنه إذا ما اعتذر للأمير عن غير ذنب جناه أو خطأ ارتكبه، سيحتاج إلى اعتذار لاعتذاره فالاعتذار عن غير ذنب سيكون ذنباً يجب الاعتذار عنه... إنه المتنبي وحده القادر على أن يصنع مثل هذه المفارقة.

وتتجلى مهارة المتنبي الفائقة في التلاعب باللغة ومفرداتها لخلق المفارقة في قوله هاجياً ابن كروّس:

فيا ابن كَرَوّسَ يانِصْفَ أعْمى

وإنْ تَفْخَرْ فيانِصفَ البصير[57]

إن حقيقة دلالة هذا البيت الثابتة هي أن ابن كروس أعور، ولكن لاحظ معي كيف أن المتنبي استطاع أن يتلاعب بالألفاظ تلاعباً ذكياً ترك ابنَ كروس بعدها حائراً بين اختيارين كلاهما مُرٌّ ولا أدري لماذا أتصور ابن كروس هذا وهو يعدو يمنة ويسرة محاولاً التخلص من المأزق الحرج الذي وضعه فيه المتنبي، وهو وإن خيره واحداً من المنفذين إلا انه لا يقوى على الخروج من أحدهما، لقد أطلق ــ في الظاهر ــ حريته ولكن بعد أن قيده قيداً قاسياً لا يستطيع الفكاك منه، إنها مراوغة لفظية ذكية، ولكنها في الوقت ذاته مراوغة فكرية تحطم كل أسلحة المهجو، فلا يستطيع سوى التسليم بما يقول المتنبي.

ومن هذا الباب قوله:

إليّ لَعَمرِي قَصْدُ كُل عجيبةٍ

كأنّي عجيبٌ في عُيُون العَجَائب[58]

وإذا أشْفَقَ الفوارِسُ من وقـ

ـع القَنَا اشْفَقُوا من الإشفاقِ[59]

إلى كَمْ ذا التخلّف والتواني

وكَمْ هذا التمادي في التمادي[60]

كَفَانِي في الذّم أنّي رجُل

أكرَمُ مَالٍ مَلَكْتُهُ الكَرَمُ[61]

إن سلسلة المفارقات هذه إذ تصور طريقة المتنبي المتفردة في التفكير، فإنها ترسم في الوقت نفسه ملامح أسلوب المتنبي المتفرد السامي، فهو يتلاعب باللغة ويحطم نظامها فيجعل الفاعل مفعولاً به والمفعول به فاعلاً في جرأة غريبة على تغيير مواقع الأشياء مما يحرك ذهن القارئ ويسبب له إرباكاً في الفهم والاقتناع فيغوص ــ مضطراً ــ مع الشاعر للوصول الى مراميه، يقول:

فشكري لهم شكران: شكرٌ على الندى

وشكرٌ على الشكرِ الذي وهبوا بَعْدُ[62]

فنحن نفهم جميعاً معنى الشكر على الندى، ولكننا نحار في فهم الشكر على الشكر، ولكن هذه هي طريقة المتنبي في إحداث المفاجأة اللغوية العقلية، فهو إذ يشكرهم على كرمهم معه يشكرهم على شكرهم له في قبول نعمهم... إنها اسلوب المتنبي المتفرد في التقاط المعنى وعرضه الذي دفع أبا العلاء الى القول معلقاً على هذا البيت:

((وهذا البيت من بدائعه التي لم يسبق اليها))[٦٣]

وكما يستند المتنبي الى الألفاظ في ثنائيتها الدلالية لخلق المفارقة فإنه يستثمر ثنائيتها الصوتية كذلك، فالأضداد تتحرك بنبرة إيقاعية تتآلف بينها ــ نغمياً ولكن لتخلق حالة التضاد ــ دلالياً ــ وهي حالة فريدة قد لا نجدها إلا عند المتنبي، فهو يتصاعد بوظيفة اللغة الشعرية حتى تصبح اللغة بوصفها أصواتاً شغله الأول، وتصبح الأصوات اللغوية المتناغمة ــ سواء أكانت متشابهة أم مختلفة ــ مفاجأة.... كقوله:

ويَرى التعظّم أن يُرى مُتواضعاً
ويَرى التواضُعَ أن يُرى مُتعظّماً[٦٤]

إن هذا الانسجام الصوتي الرائع في البيت، وما يثيره في النفس من إحساس بالتناقض هو سر إبداع المتنبي في خلق مفارقاته كما تجلت في يَرى ويُرى والتعظم ومتعظماً والتواضع ومتواضعاً إنه يجعلها نغماً متكاملاً، فهي منسجمة صوتياً متوترة دلالياً.

إن هذا الاستخدام المتميز للألفاظ المتشابهة صوتاً المتناقضة معنى يثير متعة القارئ وحيرته وهو يبصر بعينيه حالتي التوافق والتضاد تجتمعان معاً كما في قوله:

وأبعَدَ بُعدَنا بُعْدَ التداني
وقرَّبَ قُربَنا قُربَ البعاد

يقول: إن المسير أبعد بعدنا، فجعله كبعد التداني الذي كان بيننا، وكذلك قرب المسير قربنا، مثل قرب البعد الذي كان بيننا من قبل[٦٥].... إن هذا التشابك الصوتي والدلالي لعبة المتنبي العقلية التي يجيدها ويريد لها قارئاً يرقى الى مستوى تفكيره كي يكون قادراً على فك رموزها.

ومثل هذا في استثمار التناغم الصوتي ــ وإن كان أقل غموضاً ــ قوله:

صارَ الخَصيُّ إمامَ الآبقينَ بها
فالحرُّ مُستَعْبَدٌ والعَبْدُ مَعْبودُ[٦٦]

فقد نخدع أول وهلة بالانسجام الصوتي في ألفاظ: مستعبد، العبد، معبود... ولكن التضاد حاد بينهما بما يجلي حالة المفارقة التي أراد المتنبي أن يجسدها وهو يرثي للحال الذي آلت اليه مصر.

ومن مفارقاته في هذا الباب:

ومِنْ جاهلٍ بي وَهْوَ يَجْهَلُ جهلَهُ
ويَجْهَلُ علمي أنَّهُ بيَ جاهلُ[٦٧]

أبعِدْ بَعدتَ بَياضاً لا بَياضَ لَهُ
لأنتَ أسْوَدُ في عيني مِنَ الظُلَمِ[٦٨]

وأمَرُّ مِنْ فَقدِ الأحبَّةِ عنْدَهُ
فَقْدُ السيوفِ الفاقداتِ الأجْفُنا[٦٩]

وقد تتناغم الأصوات عند المتنبي دون أن تخلق حالة التضاد المعنوي فتخلق المفارقة من طريق معاكس لما سبق، ذلك أن الألفاظ تتعاكس صوتياً ولكنها متوافقة دلالياً كقوله:

صِلَةُ الهَجرِ لي وهَجْرُ الوِصَالِ
نَكَسَاني في السُقْمِ نَكْسَ الهِلالِ[٧٠]

فقد نخدع بظاهر الالفاظ ونتصور أن صلة الهجر مناقضة لهجر الوصال ولكنهما في الواقع شيء واحد، وهذه هي المفارقة،

ولا ننكر هنا أن المتنبي في بعض سعيه للمفارقة الصوتية قد يقع في التكلف الذي يسيء إليه كقوله:

ولا الضَعْفُ حتى يَتْبَعَ الضَعْفَ ضِعْفُهُ
ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضَعْفِ بل مِثْله ألفُ[٧١]

عَظُمْتَ فلمّا لم تُكَلَّمْ مَهابةً
تواضَعْتَ وهو العظْمُ عظماً عن العُظْمِ[٧٢]

كما يستثمر المتنبي ((المجاز)) استثماراً متميزاً في خلق مفارقاته، لا سيما المجاز اللغوي، إذ لا يغدو عنده لعبة يحاول من خلالها مفاجأة القارئ بما لا يتوقع، أو إنه بعد أن يرسّخ المجاز في ذهنه حتى يستحيل عنده حقيقة، ليسحب البساط سريعاً من تحت قدميه ليصدمه بالحقيقة التي غابت ــ او غيبها المتنبي ــ عنه كقوله:

في الخَدِّ إنْ عَزَمَ الخليطُ رَحيلاً
مَطَرٌ تزيدُ بهِ الخُدودُ مُحُولا[٧٣]

وَنَسدْعوكَ الحُسامَ وهَلْ حُسسام

يَعيْشُ بـــــــــه مِنَ المَوْتِ القَتيل[٧٤]

ومُمْطـر الـمَوْتِ والحيـاةِ معـاً

وَأنْتَ لا بـــــــــارقٌ ولا راعِد[٧٥]

كُـلُّ شيءٍ مـنَ الـدِّماءِ حَـرَامٌ

شُرْبُهُ مـــا خَلا دَمَ الـــــعُنْقُودِ[٧٦]

٢. مفارقة التضاد [السلب والإيجاب]

في هذا اللون من ألوان المفارقة في شعر المتنبي تجتمع الأضداد في مكان واحـد باسـلوب السـلب والإيجاب، ولكن تجاوز المعنى السطحي للعبارة والتمعن فيما أراد أن يقول الشـاعر يوضح أن لا تضاد في البيت، وأن السالب والموجب كليهما بمعنى واحـد، وهذا هو جوهر المفارقة. ومن ذلك قوله هاجياً:

وَلَـوْ كُـنْتُمُ مِمَّنْ يدَبِّرُ أمْـرَهُ

لَمـا كُنْتـمُ نَسْلَ الَّذي مَالـهُ نَسْل[٧٧]

فالمفارقة واضحة في البيت ممثلة بهؤلاء الذين وصفهم بأنهم نسل أب ((إيجاب)) ثم يعود ليصف هذا الأب بأنه ليس له نسل(سـلب) فالبيت في ظاهره يوحي بالتناقض، ولكن التدقيق في معناه يبين لنا أن المتنبي أراد أن يقول إن هؤلاء المهجوين ليسوا ممن يفخر أبـوهم بهم لسوئهم ولذلك فإن من أنجبهم كمن لم ينجب إذ لا يفخر بأن يدعى بهم.... ومثله:

فَـكُنْتُ أشْهَدَ مُختصٍ وأغْيَبَهُ

مُعَاينـــاً، وعِيـــانٍ كُلُّهُ خَبَرُ[٧٨]

البيت في ظاهره متناقض، لجمعه الشهادة وهي قـيمة موجبـة بالغياب وهي قيمة سالبـة وكذلك المعاينة والخبر، وجعلها أوصافاً لنفسه في الوقت نفسه، والذي يرفع التناقض الظاهري في البـيت، معرفة مناسبته، فالمتنبي يصف مجلس سـيف الدولة عند استقبـاله رسول ملك الروم، فقد كان المجلس مزدحماً ازدحاماً شديداً، بما حل دون اطلاعه على ما يجري، فهو حاضر هذه المقابلة، ولكن لشـدة الزحـام كأنه غائب وكان معايناً ولكن عيانه خبر لكثرة الناس. و مثله قوله متغزلاً:

وَلـكِنَّني ممـا ذَهَلْتُ مُتَيَّـمٌ

كَسَالٍ وقـــلبي بـــائِحٌ مِثْلُ كَاتِمِ[٧٩]

المفارقة في هذا البيت مبـنية على الجمع بـين المتضادات: متيم كسال وبائح مثل كاتم بما يوحي بالتناقض، وحقيقته أن المتنبي يصف حيرته حين وقف على آثار محبوبته إذ أصابه الذهول عن الشكوى، فهو متيم ولكن عدم شكواه جعلته يبدو كالسالي لتحـيّره وذهاب عقله، وقلبه يجب ويخفق فيبوح بما يكتمه، ولأن شـكواه ليسـت باللسان فهو بائح كأنه كاتم.

ومن مفارقاته في هذا الباب قوله:

الـرامياتُ لَنَا وَهـنَّ نَـوافِرٌ

والخاتـــلاتُ لَنَا وَهـــنَّ غَوافِلُ[٨٠]

أحـبَبْتُ تشبـــيهاً لهـا

فَوَجَدْتُهـــا مَا لـــيْسَ يُوجـــد[٨١]

وَكُنْ كالموت لا يَـرْثي لباكٍ

بَكَى مِـــــنْهُ ويَروَى وَهْوَ صَادي[٨٢]

أحْيَا وأيْسَرُ ما قاسَيْتُ ما قَتلا

والبَيْنُ جار علـى ضَعْفـي ومـا عَدَلا[٨٣]

وَرَمَى وما رمَتَا يَدَاهُ فَصابَني

سَهْمٌ يُعَذِّبُ والسِّهـــــام تُرِيحُ[٨٤]

إن حركة السلب والإيجاب في مفارقـات المتنبي تأخذ أشـكالاً شتى، لعل أدناها الى الوضوح تلك التي تقوم على حقيقة معروفة هي أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب الى ضده، فقد استثمر المتنبي هذا المبدأ في صياغة الكثير من مفارقاته، كقوله مادحاً.

وَلَجُدْتَ حَتّى كِدْتَ تَبْخَلُ حائلاً

لِلْمُنتَهى وَمِنَ السـرورِ بُكَاءُ[٨٥]

فهو يصرح بأن الأشياء إذا بـلغت غايتها انقلبـت الى ضدها، فممدوحه قد وصل الغاية في الجود حتى شارف أن يستحـيل بخيلاً، ولكي يرسخ دعواه هذه استشهد ــ بطريقة التشبـيه الضمني ــ

ببرهان لا يقبل الجدل في أن الاشياء اذا زادت عن حدها صارت الى ضدها وهو إن الافراط في السرور يحيل الضحك إلى بكاء بما تعارف عليه الناس ((دموع الفرح)).

وهو ما أكده في موضع، آخر فقال:

فَــلا تُنكِرَنَّ لهــا صَرْعَــــةً
فَمِنْ فَرَحِ الــــنَّفْسِ مــــا يَقْتُلُ[٨٦]

ولعل من روائع حكَم المتنبي التي تقوم على هذا المبدأ قوله:

ومَنْ يُنْفِقِ السّاعاتِ في جَمْعِ مالِه
مَخافَةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقــــــرُ[٨٧]

فهذا الذي يصل الغاية في خوفه من الفقر فيبدأ بالتقصير على نفسه سيكتشف بعد فوات الأوان أنه كان يعيش في الفقر نفسه وهو في غم الفقر وتقصير الحاجة والعوز يشقى بما يجمع ولا ينتفع به.

ومما يدخل في هذا الباب مما هو من مبالغاته المعروفة قوله:

قَتَلْــتَ نُفُوسَ الــعِدى بالحديــ
ــــــد حتّى قَتَلْتَ بِهِنَّ الحديدا[٨٨]

فالسيوف التي أكثرت القتل بالأعداء عادت فتكســرت فهي قاتلة مقتولة.

ومثله قوله:

أنــا مــُبْصِرٌ وَأظُــنُّ أنّي نــائِمٌ
مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بــــــالإله فأحْلُما

كَــبُرَ العيانُ عــليَّ حــتى إنّــه
صَارَ اليَقــــــينُ من العِيان توهما[٨٩]

وَكَمْ ذَنْــــــبٍ مُوَلّدُهُ دَلالٌ
وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلّده اقــــــترابُ[٩٠]

لبسَ الثُلوجُ بها عَــليَّ مَسالكي
فَكأنّها بــــــياضِها سَوْداءُ[٩١]

والشكل الآخر من أشكال حركة السلب والإيجاب في مفارقات المتنبي ((شكل أسرف في اســتخدامه ولكنه اتقــنه على نحو يجعله منفرداً فيه))[٩٢] ويتمثل بصدم السالب بالسالب لاستخراج القيمة الموجبة، إنها الحقيقة الرياضية المعروفة (− × − =+)، ولعل أوضح بيت يجسدها قوله:

وإذا أتَتْــكَ مَذَمّتي مِنْ ناقصٍ
فهي الشّهادةُ لي بــــــأنّي فاضِلُ[٩٣]

فالمذمة قيمة سلبية ولكنها حين تصدر عن ناقص وهو قيمة سلبية أيضاً ستكون قيمة موجبة وهي الشهادة بــأن المتنبي فاضل. ومثله قوله:

وَجَدّنا ابنَ اسحاقَ الحسَيْن كَحَدّه
عَلــى كَثْرةِ القَتْلــى بَرِيّاً مــن الإثْمِ[٩٤]

فالقتل قيمة سلبية ولكن حين يكون القــتلى كثرة (أي قــيمة سلبية)فإن قتلهم سيصبح قيمة موجبة ويصبــح الممدوح غير آثم. ومثله:

أمــيرٌ أمــيرٌ عــلَيه النــّدى
جَوادٌ بخيلٌ بــــــــالاً يَجُوْدا[٩٥]

فالجود قيمة موجبة ولكن لاحظ كيف صاغ المتنبي هذه القــيمة الموجبة من التقاء سالبين هما:

عدم الجود مضروباً بالبــخل، فحــين يــبخل الممدوح بــالا يجود فهو الجواد... ومن هذا الباب قوله:

قَدْ كَانَ يَمْنَعُني الحَياءُ من البُكا
فاليــــومَ يَمْنَعُهُ البُكــــــاء أنْ يَمْنَعا[٩٦]

عَهْدي بِمَعْركــةِ الأميرِ وَخَيْلــه
في النّقْعِ مُحْجِمَةً عن الإحــــــجامِ[٩٧]

مَلُولَةٌ مــا يَــدومُ ليس لهــا
مــــــن مَلَلٍ دائــــم بِهــــا مَلَلُ[٩٨]

في كــلّ يوم بيننا دَمُ كَرْمَــةٍ
لَكَ تَوْبَةٌ من تَوْبَةٍ من ســــــــفكه[٩٩]

مِنَ الحِلْمِ أنْ تَسْتَعْمِلَ الجهلَ دونَهُ
إذا اتّســــــعَتْ في الحِلْمِ طُرْقُ المظالِمِ[١٠٠]

والشكل الثالث من أشكال التضاد عند المتنبي ما يمكن أن يكون

مستخلصاً من القاعدة الرياضية التي تقول إن ناتج القيمة السالبة بالقيمة الموجبة هو السالب (−×+=−).... وخير ما يجسد هذا قوله متحدثاً عن نفسه:

مَـتَى ازدَدْتُ مِـنْ بَعْدِ التناهي

فَقَدْ وَقَعَ انتِقَاصِـي في ازديـادِي[١٠٠]

فالزيادة قيمة موجبة والانتقاص قيمة سالبة ولكن حاصل ضربهما سيكون سلباً، وهو ما أراده الشاعر، فهو يقول إنه بعد أن بلغ الأربعين من العمر وهو العمر الذي يكون فيه الانسان قد بلغ الغاية فإن الزيادة في العمر بعد ذلك تُعد نقصاً، لأنه كلما طال العمر بعد انتهاء الغاية ازداد الجسم نقصاً، فالزيادة في حقيقتها نقص، ومثله قوله:

زيادَةُ شَيْب وهي نَقص زيادتي

وَقـوةُ عِشْقٍ وَهيَ من قُوّتي ضَعْفُ[١٠٢]

فالشطر الأول تأكيد للمعنى السابق، أما الشطر الثاني فإن القوة فيه قيمة موجبة ولكنها جاءت مضروبة بسالب وهو العشق لما يسببه من ضعف فيكون ناتج ذلك كله قيمة سلبية وهي قوة الضعف. ومثله قوله مادحاً:

وإذا الجيادُ أَبَـا البَهِـي نَقَلْنَـا

عَنْكُمْ فأردأُ مـا يَكـون الأجـودُ[١٠٣]

فالخيل الجيدة قيمة موجبة ولكن الفراق قيمة سالبة، فيكون حاصل ضربهما قيمة سالبة لأن اجود الجياد وأسبقها ستكون أسرعها في البعد والفراق وهو مالا يريده الشاعر. ومثله:

إذا غَدَرَتْ حَسْناءُ أَوفتْ بعهدهـا

فَمـن عَهْدِهـا ألاّ يَدومْ لَهَا عَهْدُ[١٠٤]

لو فطِنَتْ خَيْلُهُ لنائلِـهِ

لَمْ يرضهـا أن تَراهُ يَرْضَاهـا[١٠٥]

أما الشكل الرابع من مفارقة التضاد فيتمثل في قدرة المتنبي على استخراج القيمة الموجبة من القيمة السالبة بشكل تفرد به هو، كقوله مادحاً:

وَحالَت عَطَايا كَفِّه دونَ وَعْدِه

فَلَيْسَ لَهُ انجازُ وَعدٍ ولا مَطْلُ[١٠٦]

فأن لا يكون للرجل وعد قيمة سلبية، لكن لنلاحظ كيف جعل ذلك قيمة موجبة وذلك حين يكون سبب ذلك أن الممدوح لا يَعد وإنما يعطي وبذلك فهو لا يعرف انجاز الوعود أو مطلها وهو ما أكده في قوله:

لَقَدْ حالَ بالسَّيف دُون الوَعيد

وَحَالَتْ عَطَايـاهُ دُونَ الـوُعُود[١٠٧]

ومن قوله مفتخراً:

فَمَوتي في الوَغَى عَيْشي لأنّي

رأيْتُ الـعَيْشَ في أَرَبِ النُّفُوسِ[١٠٨]

فالموت قيمة سلبية ولكن حين يكون هذا الموت دفاعاً عن غايات نبيلة وسامية فهو عيش أو عمر ثان لصاحبه.... ومثله قوله:

وأَشْجَعُ مِـنِّي كُلَّ يَوم سَلامَتي

وَمَا ثَبَتَتْ إلاّ وفي نَفْسِهـا أَمْرُ[١٠٩]

فـأَنْجُمُ أَمْوالِـهِ في النُّحوسِ

وأَنْجُمُ سُؤالِهِ في السُّعـود[١١٠]

إلى الهـامِ تَصْدُرُ عَـنْ مِثْلِـهِ

تَـرَى صَدَراً عَنْ وُرُودٍ وُرُودا[١١١]

كَأَنَّكَ بـالفَقْرِ تَبْغـي الـغِنى

وبـالموتِ في الحَرْبِ تبـغي الخُلُودا[١١٢]

ونذمهـم وبَهِـمْ عَرَفْنَا فَضلـهُ

وبِضدِّها تَتَبَـيَّنُ الأشْياءُ[١١٣]

٣ـ قلب المألوف

تتمثل في هذا اللون من المفارقة قدرة المتنبي على اختراق ظاهر الأشياء والنفاذ الى باطنها وإظهارها على حقيقتها التي قد تخالف في كثير من الاحيان ظاهرها وهذه هي المفارقة، بين ماتراه نحن ومايراه المتنبي:

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنيا طَويلاً تَقلَّبَتْ
عَلَى عَيْنِهِ حَتّى يَرى صِدْقَها كَذِبَا[114]

لَمّا أَضَرَّ بأَهْلِ العِشْقِ أَنَّهُمُ
هَوُوا وما عَرِفُوا الدُّنيا ولا فَطِنُوا

تَفْنى عُيُونُهُمُ دَمْعاً وأَنْفُسُهُمْ
في إثْرِ كُلِّ قَبيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ[115]

وَدَهْرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغارٌ
وإن كانَت لَهُمْ جُثَثٌ ضِخامُ[116]

في هذه المفارقات يرسم لنا المتنبي صورة الكون كما يراه هو، إنها آراؤه في الحياة وخواطره إزاء ملابسات الواقع وارتباطاته، إنها تأمّل للواقع وكشف عن الأبنية الجوهرية للحياة بعد إزاحة ما يتراكم من تفصيلاتها وجزئياتها، وهكذا تغدو المفارقات في جوهرها مقابلات بين الشاعر والواقع، أو بين المثال والواقع، المثال كما تريده ذاته والواقع كما يعيش فيه الناس وتكون الأشياء والعلاقات.... وهذا ما قد نجده عند من سبقه من الشعراء كأبي نواس وأبي تمام، ولكنها عند المتنبي طراز فكري يسم شعره وشخصيته:

نَحْنُ بَنو المَوتى فَما بالُنا
نَعافُ ما لابُدَّ مِنْ شُرْبِه

تَبْخَلُ أَيدينا بأَرواحِنا
على زمانٍ هي من كَسْبِهِ[117]

نُعِدُّ المشرفيةَ والعَوالي
وتَقْتُلنا المَنونُ بِلا قِتالِ[118]

لقد خاض في خضم الحياة وابرز ما في جوانبها من متناقضات تبدو مضحكة، ولكنه ضحك كالبكاء:

يا عاذِلَ العاشقينَ دَعْ فئةً
أَضَلَّها اللهُ كَيْفَ تُرْشِدُها

لَيْسَ يَحيكُ المَلامُ في هِمَمٍ
أَقْرَبُها مِنك عَنْكَ أَبْعَدُها[119]

يقْتَلُ العاجز الجَبانَ وَقَدْ يَعْـ
جِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ المَوْلُودِ[120]

إذا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَروا
الاّ تفارقَهُمْ فالراحِلُونَ هُمُ[121]

إنها فلسفة المتنبي تتجلى في مفارقات هي نتاج فهم حقيقي للواقع وحقائقه، فالصدق من بعض وجوهه كذب والجميل هو القبيح في جوهره، وما كل عظيم الجسم كبير، وما كل من آثر السلامة سالم وما كل من خاض المهالك هالك... إنه جدل الواقع ومفارقاته التي قد تغيب عن أذهاننا ولذا تأخذ المفارقة صورة المفاجأة التي يبسهر بها المتنبي قارئه، كقوله:

أَرانبُ غَيْرَ أَنَّهُمُ مُلُوكٌ
مُفَتَّحَةٌ عيونُهُمُ نيامُ[122]

وَبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشيتُ أُذيبُهُ
مِنْ حَرِّ أَنفاسي فكُنْتُ الذّائِبا[123]

وإذا كان عدد من هذه المفارقات يبدو في صورة مبالغات قد لا نرضاها، فإنها تعكس لنا حقيقة مهمة هي أن عقل المتنبي كان مفعماً بهذه الأضداد، لا سيما حين يكون هو طرفاً فيها، إنه في حالة تضاد مع كل ما في الحياة وكأنه جاء الى الحياة ليختلف معها، فهي مع روح المبالغة فيها الا أنها تتحول عنده الى لون من ألوان الفن الزاهية.... يقول:

يُحاذِرُني حَتّى كَأَنّيَ حَتْفُهُ
وَتَنْكُزُني الأَفْعى فَيَقْتُلُها سُمّي

طِوالُ الرِّدينيات يَقْصِفُها دمي
وَبيضُ السُّرَيجيات يَقْطَعُها لحمي[124]

أية شجاعة هذه التي تجعل الموت يخاف المتنبي وكأنه موت الموت، وأي سم هذا الذي يحمله في جسده حتى إذا لدغته الأفعى قتلها قبل أن تقتله، وكيف للدم أن يكسر الرماح، وأنّى للحم أن يقطع السيوف، انه المتنبي وحده يجرؤ على اللغة هكذا فيغامر بتغيرات قد تغدو سخرية على لسان غيره، ولكنها عنده جليلة مهيبة، تدير

الرؤوس وتتركنا مبهورين بهذه القدرة العجيبة على قلب العلاقات واستبدال المواقع.... وقد تعظم المبالغات حتى تبدو ضرباً من المحال:

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ في القُلُوبِ دِرَاكاً
قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالاً[١٢٥]

الطِّيبُ أَنْتَ إذا أَصَابَكَ طِيبُهُ
والماءُ أَنْتَ إذا اغتسلتَ الغاسِلُ[١٢٦]

أنا الذي نَظَرَ الأَعْمَى إلى أَدَبِي
وأَسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ[١٢٧]

يُقَبِّلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سابِحَةٍ
أَربعها قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ[١٢٨]

لقد أدرك المتنبي أن العقل الإنساني يترع دائماً إلى رؤية الحياة في أشكال جديدة، قد لا تغير حقائقها ولكنها يمكن أن تكون كشفاً عن جوهرها لمن لم يدركها، فاستطاع المتنبي بتعبيره الفني أن يحرك العقل الإنساني من المحسوسات الى المعقولات وبالعكس ومن العام الى الخاص وبالعكس وفي كل ذلك تتجلى قدرة المتنبي على حمل عقل قارئه على التوقف والتفكير:

يَجْفِي الغِنِي لِلَّئام لَو عَقَلُوا
ما لَيْسَ يَجْفِي عليهِمُ العَدَمُ

هُمُ لأَمْوالِهِم ولَيس لَهُمْ
والعارُ يَبْقَى والجرْحُ يَلْتَئِم[١٢٩]

خَلِيلَكَ أَنْتَ لا مَنْ قُلْتَ خِلّي
وإنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ والكَلامُ[١٣٠]

تَغُرُّ حَلاَواتُ النفوس قُلُوبَهَا
فَتَخْتارُ بَعْضَ العَيْشِ وهو حِمَامُ[١٣١]

في جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ غُبارُه
فَكَأَنَّما يُبْصِرْنَ بالآذانِ[١٣٢]

٤. مفارقات النسب والإضافات

يؤكد هذا الضرب من المفارقات في شعر المتنبي أن المتنبي لا يرى المعاني مجردة أو مطلقة إنما تكون هذه المعاني بحسب علاقاتها بما أي إنه ليس هناك معنى واحد ثابت للأشياء أو القيم، بل إنه متغير بحسب صلتها بالأشياء والمعاني الأخرى فالشجاعة ليست مطلقة إنما تبدو عند انسان ما جبناً إذا ما قيست بشجاعة إنسان آخر، ويغدو كرم زيد بخلاً إذا ما قورن بكرم عمرو والصحيح عند بعض هو الخطأ بعينه عند الآخرين، إنه قانون ((النسبية)) مصوغاً بقالب شعري، يقول مادحاً:

شَادوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدْتَ مَناقِباً
وَجدَتْ مَنَاقِبَهُمْ بِهِن مَثَالِبا[١٣٣]

أنظر كيف استطاع المتنبي أن يقلب ما يفخر به هؤلاء القوم من مآثر الى عيوب، لا لشيء إلا لأنها إذا قيست بمآثر الممدوح لم تعد شيئاً بل إنها تنقلب الى ضدها، فالمناقب باقية محتفظة بقيمتها إذا ما نظر إليها مجردة ولكنها تتغير إذا نُظر اليها من خلال مناقب الممدوح، ومثله قوله:

وَطَعْنٍ كَأَنَّ الطَّعْنَ لا طَعْنَ عِنْدَهُ
وَضَرْبٍ كَأَنَّ النَّارَ مِنْ حرِّهِ بَرْدُ[١٣٤]

فَأَجْوَدُ مِنْ جُودِهِمْ بُخْلُهُ
وأَحْمَد مِنْ حَمْدِهِمْ ذَمَّهُ[١٣٥]

وأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِم مَوْتُهُ
وأَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِم عُدْمُهُ[١٣٦]

إن هذا اللون من المفارقة هو ضرب آخر من ضروب فلسفة المتنبي ذلك أن المعاني التي تبدو متقابلة أو متضادة، ليست في حقيقتها كذلك، فهي من جوهر واحد إذ الجبن درجة في الشجاعة والبخل نسبة من الكرم، والضر سبب في المنفعة، والتقية والإقدام نتاج جوهر واحد هو الحب وكذا الثناء والعيب والإحسان والذنب، والأذى والعطاء، والموت والحياة.... يقول:

تَجاوَزَ قَدْرَ المَدْحِ حَتَّى كأَنَّهُ
بِأَحْسَنِ ما يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ[١٣٧]

فارَقْتُكُمْ فـإذا ما كانَ عِنْدَكُمُ

قَبْلَ الفـــــــراق أذىً بَعْدَ الفراق

فَحُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى

وَحُبُّ الشجاعِ النَّفْسَ أوردَهُ الحربا[139]

بذا قضَت الأيامُ ما بينَ أهلهـا:

مَصَائـــب قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائـــدُ[140]

لذلك سَمّى ابنُ الدُّمُسْتقِ يومَهُ

مَمَاتـاً وسَمّاهُ السدُّ مُسْتَقُ مَوْلـــدا[141]

إن المتنبي يدرك المعنى مرتبطاً بـالفعاليات المختلفة للأشـياء في تلاقيها واصطدامها ببعضها أو تنافرها وانسلاخ بعضها من بـعض، إنه يرفض اليقين الثابت الذي توفره النظرة الكسولة، فليست هناك حقيقة ثابتة، وإنما هناك دائماً شيء أبعد علينا من أن نفهمه وأن تطل عقولنا على عالمه:

يرى الجُبناء أن الـعجز عَقـلٌ

وتلكَ خَديعةُ الطَّبـــــــعِ اللّئيمِ

وَكَمْ مِن عائبٍ قَوْلاً صَحيحـاً

وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقـــــــيمِ[142]

ويَختلفُ الرزقانِ والفعْلُ واحد

الى أنْ ترى إحسـانَ هذا لِذاذَبـا[143]

فَوْتُ العدُوِّ الذي يَمّمْتَهُ ظَفَـرٌ

في طَيِّهِ أَسَفٌ في طَيّةِ نِعَمُ[144]

أمّا الثّيابُ فتَعرى مِنْ مَحَاسنِه

إذا نَضَاها ويُكْسَى الحُسْنَ عُرْيانا[145]

٥ مفارقة الموقف

يمكن القول إن مفارقة الموقف هي المفارقة الآنية التي يخلقها ظرف طارئ أو حالة نفسية معينة، ولا تأخذ شكل القـانون الثابـت أو الحقيقة الراسخة وهذا اللون من المفارقة، حـين يكون المتنبي طرفاً فيه، يكون وليد معاناته الذاتية وإحساساته المرهفة وشـعوره العالي بسمو الذات الذي جعل وجوده في زمنه مفارقة بذاتها:

وما أنَا منْهُـمُ بالعَيْشِ فِيهِـمْ

وَلـكِن مَعْدِنُ الذّهـبِ الـرُّغَامُ[146]

أُريدُ مِنْ زَمَـني ذا أن يبلّغنـي

مالَيْسَ يَبـــــلغُهُ من نفسِهِ الزَّمَنُ[147]

وبذلك تغدو أية مواجهة بينه وبين العالم المحيط بـه واشـخاصه وأشيائه مفارقة، قد لاتكون حقيقية ولكنها كذلك في إحسـاسـات الشاعر وأفكاره:

أَظْمَتْنِيَ الـدُّنيا فَلَمـّا جِئتُهـا

مُستسـقِيا مطَرَتْ عَليَّ مَصَائبـا[148]

إن إحساس المتنبي بالغربة في عالمه وعدم قدرته على الائتلاف مع واقع مفروض عليه هو بلا شك وراء هذا السيل من المفارقـات التي تجسـد معاناته وألمه، فها هي الدنيا لا تكتفي بعطشـه وإنما سقـته المصائب والهموم حين جاءها مستسقـيا، إن هذه الدنيا التي يعيش فيها جَحُود، بلا قلب، لم تكتف بحرمانه من حقه بل زادته أذى بـأن جعلته مبـتلى بمصائب كثيرة سـواء أكانت حسـاداً أم أعداءً أم ممدوحين لا يرقون الى مدحه:

وَمَنْ نكدِ الدُّنيا عَلَى الحرِّ أَنْ يَرَى

عَدُوّا لـه مـا مِنْ صـــداقَتِه بُدُّ[149]

ولا أعاشِرُ مِنْ أَمْلاكِـــهم أَحَداً

إلاّ أَحَقَّ بـضَرْبِ الرأسِ من وَثَنِ[150]

ومَا الجَمْعُ بين الماء والنارِ في يدي

بأصْعَبَ من أن أَجْمَعَ الجِدَّ والفَهْما[151]

غَيْرَ اختيارٍ قَبِلْت برّكَ بـــــي

والجوعُ يُرضي الأسـودَ بـالجيفِ[152]

لقد ناصبـه دهره العداء، واتخذته المنايا عرضًا لسـهامها، وهو المتعالي المتفاخر العنيد.

لا بـقَومْي شَرُفْتُ بَـلْ شَرُفُوا بي

وبنَفْسـي فَخَرْتُ لا بجُدودي[153]

مَنْ لو رَآني ماءً ماتَ مـــن ظَمَـــإٍ
وَلَوْ مـــثَّلْتُ لـــهُ في النـــــومِ لم يَنَمِ[١٥٩]

أَفي كُـــلِّ يومٍ تحتَ ضِبْني شُوَيْعِـــرٌ
ضَعِيْفٌ يُقَاوِيني قـــــصيرٌ يُطاوِلُ[١٦٠]

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْمُتُّ عندَكُمُ
ثُمَّ انتفضْتُ فزالَ القـــــبرُ والكَفَنُ

قَدْ كانَ شاهدَ دَفْني قَـــبْلَ قَـــوْلِهم
جَماعةٌ ثُمَّ ماتوا قَبْلَ مَنْ دَفَنـــوا[١٦١]

وقد تبتسم له الدنيا حـــيناً فيهنأ ويســـكن، ولكنها تبـــدو كأنها استراحة المقاتل، إذ سرعان ما يعاود دهره مناكدته:

وَاحـــرٌّ قَـــلْباهُ ممَّـــنْ قَلْبُـــهُ شَـــبِمُ
وَمَنْ بجســـــمي وَحَالي عِندَه سَقَمُ

مالي أكتِّمُ حُـــبًّا قَـــدْ بَرَى جَسَدي
وَتَدَّعي حُبَّ سيفِ الدولةِ الأُمَمُ[١٦٢]

وقَدْ تَقبلُ العـــذْرَ الخَفيَّ تكرُّمـــاً
فَمَا بالُ عذري واقـــفاً وهو اضِحُ[١٦٣]

كَفَى بكَ داءً أَنْ تَرى الموت شافياً
وحَسْبُ المَنايـــا أنْ يَكُنَّ أمانيـــا[١٦٤]

إنه المتنبي متفرد في عصره، غريب فيما يرومه، شـــاذ فيما ترتاح اليه نفسه:

سُبْحانَ خَالِقِ نَفْسي كَيْفَ لَذَّتُها
فيما النُّفـــوسُ تَرَاهُ غـــايَةَ الأَلَمِ[١٦٥]

فَلَو كانَ ما بي من حَبيبٍ مُقَنَّعٍ
عَذَرْتُ وَلكنْ من حَبـــيبٍ مُعَمَّمِ[١٦٦]

منىً كُنَّ لي أنَّ البياضَ خضابُ
فَيَخْفَى بتبـــــييضِ القُرونِ شَبَابُ

لَيَالِيَّ عندَ البيضِ فَوداي فِتْنَةٌ
وَفَخْرٌ وذَاكَ الـــفَخْرُ عنـــديَ عَابُ[١٦٧]

أما إذا لم يكن المتنبي طرفاً في مفارقة الموقف، فإنها في غالبها تقع في باب الوصف وهي هنا اقرب الى مذهب الصنعة الفنية، وغاية المتنبي إبهار السامع بما يصف أو تكثيف المعنى وتجسيده أمام عينيه حـــتى لو كان ذلك على حساب منطقية المعنى، كقوله:

وَضاقَت الأَرضُ حَتَّى كـــأنَّ هاربَهـــم
إذا رأى غَيْرَ شـــــيءٍ ظنَّهُ رَجُلاً[١٦٨]

بَقِيَتْ جُمُوعُهُمُ كَأَنَّكَ كُـــــلُّها
وَبَقـــــيتَ بَيْنَهُمُ كأنَّكَ مُفْرَدُ[١٦٩]

فجـــاءَا بـــهِ صَلْتَ الجَبينِ مُعظَّمـــاً
تَرى النـــاسَ فـــلاًّ حَوْلَهُ وَهُمُ كُثُر[١٧٠]

ضَروبٌ وما بين الحُسامينِ ضَيِّقٌ
بصيرٌ وما بـــين الشـــجاعين مظلمُ[١٧١]

على أن ذلك لا ينفي عن مفارقاته في هذا البـــاب جمالَ تصويرها وروعة بنائها، كأبياته المشهورة في وصف سيف الدولة.

وَقَفْتَ وما في المَوتِ شَكٌّ لواقفٍ
كَأَنَّكَ في جَفْنِ الـــرَّدى وَهْوَ نـــائمُ

تَمُرُّ بكَ الأَبطالُ كَلْمَى هَزيمَةً
ووَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بـــــــاسِمُ[١٧٢]

وقوله مخاطباً سيف الدولة محاولاً استرضاءه بعد وقـــعته ببـــني كعب:

بَنـــو كَـــعْبٍ وَمَـــا أَثَرْتَ فيهِمْ
يَدٌ لَمْ يُدْمِهـــــا إلاَّ الـــــسِّوارُ

بِهَـــا مـــن قَطْعِهِ أَلَـــمٌ وَنَقْـــصٌ
وفيهـــا مـــنْ جَلالَتِهِ افتخـــارُ[١٧٣]

فقد استطاع المتنبي أن يمزج مزجا رائعاً بين فتنة سـيف الدولة بنصره على بني كعب وحرصه على ان ينال عفوه عنهم فاقـام ذلك كله على مفارقة جميلة قوامها أن اليد تتألم من قطع السـوار ولكنها تفتخر بجماله، وهكذا بنو كعب يفخرون بوقعة سـيف الدولة وإن

أصابتهم الآلام والعقوبات.

إن موقف المفارقة الذي وضع فيه المتنبي ــ بعد أن ساله الأمير أن يصف الواقعة ــ وهو بين شعورين متناقضين ــ الفرح بنصر الأمير والألم لما أصاب بني كعب ــ ربما كان وراء سيل المفارقات في قصيدته هذه، التي يبدؤها بمفارقة موقف:

طِوالُ قَنا ٍ تطَاعِنُها قِصَارُ
وَقَطْرُكَ في نَدىً وَوَغىً بِحَارُ
وَفيكَ إذا جَنَى الجاني أَناةٌ
تُظَنُّ كَرامةً وهيَ احتِقارُ[169]

فطوال القنا التي تطاعنها قصار، والقطر الذي يعدل البحار، والأناة التي تظن كرامة وهي احتقار كلها مفارقات ربما تشي بشعور المتنبي وموقفه مما جرى وقد تتابعت هذه المفارقات فمنها:

فَلَزَّهُمُ الطِّرادُ الى قِتالٍ
أَحَدُّ سِلاحِهِمْ فيهِ الفِرارُ[170]
إذا فاتوا الرِّماحَ تناوَلَتْهُمْ
بِأَرْماحٍ مِنَ العَطَشِ القِفارُ[171]
تفَرَّقُهُمْ وإيّاهُ السَّجايا
ويَجمَعُهُم وإيّاهُ النِّجارُ[172]
وَأَجْفَلَ بالفُراتِ بَنو نُميرٍ
وَزَارَهُمُ الذي زَارُوا خُوارُ
فَهُمْ حِرَقٌ على الخابور صَرْعى
بِهِم مِنْ شُربِ غَيْرِهِمُ خُمارُ[173]

وبالتفسير نفسه يمكن أن نعلل المفارقات الكثيرة في قصيدته:

وَأَحَرُّ قَلْباهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ
وَمَنْ بِجِسمي وحالي عندهُ سَقَمُ[174]

وقصيدته:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الموتَ شافيا
وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانيا[175]

ففي القصيدتين كان لشعور المتنبي الداخلي أثره في شيوع فيهما، الأولى المفارقة بين شعوره نحو سيف الدولة وشعور هذا نحوه، والثانية المفارقة بين رأيه في كافور ومدحه إياه.

اغراض المفارقة عند المتنبي

كما تعددت أشكال المفارقة في شعر المتنبي تعددت كذلك أغراضها ويمكن أن نشير الى أبرز هذه الاغراض بحسب تكرار ورودها:

١. المبالغة

لم تكن المبالغة عند المتنبي مقصودة لذاتها إنما هي وسيلة لإبراز المعاني وتأكيدها والوصول بها الى المعنى ((المثال)) أو (شرف المعنى)) كما اصطلح عليه النقاد العرب[176]، وأرادوا به بلوغ المعنى أقصى غاياته ووصف الشيء بغاية ما يصل اليه الوصف.

وقد تنبه الدكتور طه حسين إلى اجتماع المطابقة والمبالغة في شعر المتنبي وارجعهما إلى (طبيعة المتنبي نفسه فهو قوي الحس، حاد المزاج، عنيف النفس، مندفع بحكم هذا كله الى الغلو والإسراف))[177]، كما تنبه الدكتور شكري محمد عياد الى قدرة المتنبي على الجمع بين الحكمة والمبالغة و ((التفاوت العجيب بين الحكمة التي تروع بمطابقتها للواقع والمبالغة التي تروع أيضاً ــ وربما تنفر ــ ببعدها عنه))[178] وأرجع ذلك إلى روح العصر والروح العربية في عصر المتنبي وقبله وبعده.

ولسنا هنا في معرض البحث في أسباب المبالغة عند المتنبي ولكننا نقول إن المبالغة في مفارقات المتنبي يمكن أن ترجع الى كونه انفعالياً يندفع الى درجة المبالغة، ويقف غالباً في الطرف الاقصى فهو لا يعرف المواقف الوسطى، ولا يرضى لنفسه أن يقف في الظل، وهكذا تستحيل بعض مبالغاته الى مفارقات بعد وصول المعنى الى الغاية ثم انقلابه الى الضد:

وَلَجُدْتَ حتى كِدتَ تَبْخَلُ حائلاً
لِلْمنتَهى ومِنَ السُّرورِ بُكاءُ[179]

حَتّى إذا لَمْ يدع لي صِدْقُهُ أملاً

شَرِقْتُ بالدَّمْعِ حَتى كادَ يَشْرَقُ بي[180]

وإذا لَمْ تسرْ إلى الدّار في وقْـ

تِكَ ذا خفْتُ أنْ تَسيرَ إليكا[181]

على أننا لا ننكر أن بعض مبالغته في باب المفارقة يمكن أنْ يؤاخذ بها، وربما آخذه بها القدماء كقوله:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجُلٌ

لولا مُخاطَبَتي إياكَ لَمْ تَرَني[182]

رُوحٌ تَرَدَّد في مثْلِ الخلالِ إذا

أطَارَت الرِّيحُ عنْهُ الثوب لَمْ يبن[183]

أثَر فيها وفي الحديد وما

أثّر في وَجْهِهِ مُهَنّدُها[184])

أليْسَ عَجيباً أن وَصفَكَ مُعْجِزٌ

وأنَ ظُنُوني في مَعاليكَ تَظْلَعُ

وأنكَ في ثَوْبٍ وصدْرُكَ فيكُما

عَلى أنّهُ من ساحةِ الأرضِ أوسَعُ[185]

كأنّهُمْ وُلِدُوا منْ قَبْلِ أنْ وُلِدُوا

أو كانَ فَهْمُهُمُ أيّامَ لَمْ يَكُنِ[186]

يَدْري بما بكَ قبلَ تُظْهِرُه له

منْ ذهنِهِ ويُجيبُ قَبْلَ تُسائِلُ[187]

ولكن ذلك لا يعني أن المتنبي شاعر عاجز، لا يختلف عن أولئك الشعراء العاجزين الذين يغطون عجزهم بالمبالغة، فالمتنبي ابعد ما يكون عن ذلك، ومبالغته تصوير لعلو ذاته، يقول مخاطباً جدته:

ولَوْ لَمْ تَكُوْني بِنْتَ أكرمِ والِدٍ

لكانَ أباكِ الضّخمَ كَوْنُكِ لي أُمّا

فقد تحيل المبالغة في هذا البيت المعنى، ولكن أنظر الى هذه المفارقة الرائعة التي جعلت الأجداد ينتسبون الى الأحفاد، فعكس ما جرت عليه العرب من انتساب الابناء الى آبائهم وأجدادهم، إن المبالغة في مفارقات المتنبي لها مذاق خاص لا يمكن أن نجده عند غيره.

٢ــ موقف فكري

تؤكد لنا مفارقات المتنبي أن عالم المعنى عنده عالم رحب فسيح واسلوب المتنبي في الوصول الى المعاني سيحتاج الى استكشاف فالمعاني ليست مجردة عنده إنما هي نتيجة جدل مباشر بينه وبين الأشياء من جهة، وبين الأشياء نفسها من جهة ثانية، وهو لا يفكر في الأشياء باتجاه واحد طالما أن الأشياء ليست ذات وجه واحد... ولذا كانت مفارقاته في كثير من وجوهها حِكماً يحاول من خلالها أبو الطيب إعادة التوازن الى الحياة:

إذا كانَ الشبابُ السُّكر والشيْـ

بُ هَمّا فالحياةُ هي الحِمامُ

ومَا كُلٌّ بمعذُورٍ بُخْلٍ

وَمَا كُلٌّ على بُخْلٍ يُلامُ[188]

كُثيرُ حَياةِ المَرْءِ مِثْلُ قليلها

يَزولُ وباقي عَيْشِهِ مِثْلُ ذاهِبِ[189]

وَمِن العَداوةِ ما يَنَالُكَ نَفْعُهُ

وَمِن الصّداقَةِ ما يَضُرُّ ويُؤلِمُ[190]

لقد كان عصره يزدحم بالمتناقضات بما أثر في فكره وتركه يزدحم بها أيضا فكانت ((نفسية المتنبي القلقة الممزقة هي ايضاً من بعض الوجوه صياغة مركبة لمزاج العصر السائد))[191] ولذا كان ولع المتنبي بتصوير المظاهر المتغيره أو مفارقات الأشياء في تقلباتها:

إذا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً

فَلاَ تظُنَّنَّ أنَ اللّيْثَ مُبْتَسِمُ[192]

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَواقِبُه

فَرُبّما صَحّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ[193]

فَمَا كانَ ذلكَ مَدْحاً لَهُ

وَلكنّهُ كانَ هَجْوَ الوَرى[194]

قَدْ استَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءِ

وأقْتَلُ مَا أعِلّكَ ما شَفَاكا[195]

إن التعارض الداخلي في ذات المتنبي، يترك اثره في رؤيته للأشياء

حيث تكون نظرته إليها محملة بالدلالات، وذلك لعمق تفكيره فيها، ((وقد انعكس هذا الصراع الداخلي بين المتناقضات في نفس المتنبي في لغته، فاصبح من اهم سمات تعبيره الجمع بين الشيء ونقيضه))[١٩٦].

وَمَنْ خَبَرَ الغَوَانِيَ فالغَوَانِي
ضِيَاءٌ في بَواطِنِهِ ظَلامُ[١٩٧]

أُرِيْكَ الرضا لو أَخْفَت النفسُ خافيا
وما أنا عَنْ نفسي ولا عَنكَ راضيا[١٩٨]

أَذُمُّ إلى هَذا الزَّمانِ أَهَيْلَهُ
فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأَحزَمُهُمْ وَغْدُ
وأَكْرَمُهُم كَلْبٌ وأَبْصَرُهُمْ عَمٍ
وأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وأَشْجَعُهُمْ قِردُ[١٩٩]

وقد تكون مفارقته موقفاً فكرياً يتعلق بذات المتنبي كقوله:

إذَا ما الكَأْسُ أَرْعَشَتِ اليدينِ
صَحَوْتُ فلم تَحُلْ بَيني وبَيْني[٢٠٠]

فلا شك في أنّ المفارقة في قوله ((بيني وبيني)) هي تعبير عن إحساس المتنبي بانقسام نفسه ولكن الخمرة غير قادرة على أن تفقد المتنبي سيطرته على أجزاء نفسه، بل هو مالك زمام هذه النفس، قادر على أن يعيدها سيرتها الاولى فلا تنال منها مغريات الحياة ولذائذها. وكقوله:

زيادةُ شَيْبٍ وهي نَقْصُ زيادتي
وَقُوَّةُ عِشْقٍ وهي قُوَّتي ضَعْفُ[٢٠١]

وبذلك يمكن القول إن في هذا اللون من المفارقات ((تبلورت الصراعات الذاتية الانطوائية متفاعلة مع الصراع الخارجي مما ولّد ثنائياً تقابلياً انطق الشاعر بصريح التناقضات ومرير الاعترافات وكل ذلك من موقع المتأزم بين مرمى الطموح والسبيل إليه))[٢٠٢].

٣. السخرية

والسخرية لازمة من لوازم المفارقة إذ ((تكون أكثر تأثيراً اذا اجتمع فيها العنصر الكوميدي والعنصر المؤلم))[٢٠٣]، وهذه مفارقة المفارقة أي أن تضم المؤلم والمضحك، على أن السخرية في المفارقة ليست من النوع السار، إنما هو ضحك كالبكا، فهي وإن كانت سلاحاً للهجوم الساخر فإنها ستار رقيق تتبين من ورائه هزيمة الإنسان وانسحاقه، فالابتسامة التي تخلقها المفارقة ليست من النوع الذي يدوم، إنما تختفي بمجرد التمعن فيها، فضحية المفارقة إنما هو ضحية الحياة، والمفارقة التي تتناوله إنما هي لحظة كشف لمتناقضات الحياة وحقائقها التي تتصارع... إنها موضوع يحتاج الى التامل والرثاء الممتزج بالضحك.

وإذا كانت لنا ملاحظة حول هذا الغرض في مفارقات المتنبي فإننا وجدناه أقل الاغراض بروزاً عنده بما يعكس طبيعة المتنبي الجادة الرصينة، التي تنفر من الهزل والسخرية اللذين يحطان من قيمة المرء.

ومن مفارقات المتنبي الساخرة قوله:

يَسْتَخشنُ الخَزَّ حين يَلْمسُهُ
وَكانَ يُبْرَى بظُفْرِهِ القَلَمُ[٢٠٤]

وَفَارَقْتُ شَرَّ الأَرْضِ أهلاً وتُرْبَةً
بها عَلَوِيٌّ جَدُّهُ غيرُ هاشِمِ[٢٠٥]

يَحمي ابنُ كَيْغَلَغَ الطَّرِيق وعِرْسُهُ
ما بين رِجْلَيْها الطَّرِيقُ الأَعْظَمُ[٢٠٦]

وإذا ما خَلاَ الجَبانُ بأَرْضٍ
طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَه والنِّزالا[٢٠٧]

لاشَيءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ
تَقُوده أَمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمُ[٢٠٨]

فَيا ابنَ كَروَّس بانصُف أَغْمَسَى
وإنْ تَفْخَرْ فيا نِصْفَ البَصيرِ[٢٠٩]

أَسَامِرِيُّ ضُحْكَةَ كُلِّ رائي
فَطِنْتَ وأَنْتَ أَغْبَى الأَغْبياء

صغُرتَ عن المديحِ فقلْتَ أُهْجَى
كأَنَّكَ ما صَغُرتَ عَن الهجاءِ

ومَا فَكَّرتُ قَبْلَكَ في مُحالٍ
وَلاَ جَرَّبْتُ سَيْفي في هَبَاءِ[٢١٠]

الهوامش والمصادر

١) ينظر: المفارقة وصفاتها/ ٢٠ ــ ٢٥.

٢) لم تسعفنا متابعة الجذرف رق في معجمات اللغة في الوصول الى وشيجة قوية تربطه بالمصطلح الحديث.

٣) معجم المصطلحات العربية/٢٠٦.

٤) م. ن.

٥) معجم مصطلحات الادب/ ٣٨١.

٦) نقلا عن المفارقة/ نبيلة ابراهيم/ ١٤٠،

٧) C.DMUEEKE

٨) المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيكية/٢٢٧.

المفارقة/ د. س ميويك/٥٧.

٩) المفارقة / ميويك/ ٥٣.

١٠) مبادئ النقد/ ٣٢١.

١١) المفارقة وصفاتها/ ١٨.

١٢) م. ن.

١٣) المعنى الأدبي من الظاهراتية الى التفكيكية/ ٢٢٧.

١٤) مبادئ النقد/ ٣٢١.

١٥) م. ن.

١٦) المفارقة/ نبيلة ابراهيم/ ١٣٦.

١٧) م. ن.

١٨) الرفض ومعانيه في شعر المتنبي/ ١٣٤ وينظر كذلك: من خلاص الفرد الى خلاص الجماعة/ ٣٧.

١٩) المفارقة/ نبيلة ابراهيم/ ١٣٦.

٢٠) شرح ديوان ابي الطيب: ١/٣٥٧.

٢١) م. ن: ١/٨٣.

٢٢) شرح: ٤/١١٦.

٢٣) شرح: ٤/٣٢.

٢٤) شرح: ٢/٢٢٧.

٢٥) م. ن: ٢/٨١.

٢٦) انظر في سبيل المثال قصيدته "واحر قلباه" في حضرة سيف الدولة.

٢٧) المتنبي شاعر العظمة /١١٨.

٢٨) شرح ديوان ابي الطيب: ١/٣٥٧.

٢٩) الحصول الفكري للمتنبي/٢٢١،

٣٠) ينظر مع المتنبي/١٧١.

٣١) المثال والتحول/٢٨.

٣٢) مع المتنبي /٥١.

٣٣) ينظر حكمة المتنبي/٣٥٢.

٣٤) من خلاص الفرد الى خلاص الجماعة/٢٧.

٣٥) المتنبي وسقوط الحضارة /٨٨.

٣٦) ديوان ابي تمام: شرح التبريزي: ٣/١٧٨.

٣٧) م. ن: ١/٣٦٨.

٣٨) م. ن: ١/٣٦٨.

٣٩) ينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي /٢٥٠ ــ ٢٥٦.

٤٠) شرح التبيان: ٤/٧٠.

٤١) م.ن.

٤٢) مع المتنبي /٥١.

٤٣) حركة المعنى في شعر المتنبي بين السلب والايجاب /١٦٦.

٤٤) مطلع القصيد في شعر المتنبي /٣٨٠.

٤٥) المتنبي وسقوط الحضارة العربية/٧٤.

٤٦)المتنبي بين البطولة والاغتراب/٢٤٥.

٤٧) المتنبي شاعر العظمة والطموح/ ١٢٤.

٤٨) شرح ديوان المتنبي: ٢/٨٠ــ ٨١.

٤٩) مع المتنبي/ ١١٨.

٥٠) شرح: ٢/٥٦٥ــ ٥٦٦.

٥١) م. ن: ٢/١٥٤.

٥٢) شرح ١/١٤٦.

٥٣) م. ن: ١/١٦٣.

٥٤) م.ن: ٢/٢٧.

٥٥) مع المتنبي/٣١٥.

٥٦) شرح: ٢/٣٢١.

٥٧) شرح: ٢/٣٢٧.

٥٨)م.ن: ٢/٢٤٠.

٥٩) شرح: ٢/٤٣٥.

٦٠)م.ن: ٢/٤٨٩.

٦١)م.ن: ١/٣٠٠.

٦٢)م. ن: ١/٣٢٧.

٦٣)م.ن: ٢/٣٨٥.

٦٤) شرح ٢/٣٨٥.

٦٥)م. ن: ١/٥٠.

٦٦) شرح: ١/٣٠٣.

٦٧)م. ن: ٤/١٧٢.

٦٨)م. ن: ١/١٢٦.

٦٩)م. ن: ١/١٣٠.

٧٠)م. ن: ٢/١٨٩.

٧١) شرح: ١/٦٨.

٧٢)م. ن: ٢/٢٥.

٧٣)م.ن: ١/٢٩٤.

٧٤)م. ن: ٢/١٦١.

٧٥)م. ن: ٣/٣٧.

٧٦)م. ن: ٤/٣٨٢.

٧٧)م. ن: ١/٧٤. وينظـر كذلـــك: ١/٤٨، ١/٤١، ٢/١٣٣، ٣/٥٢٠ .

٧٨) شرح: ٢/٣٧٧.

٧٩)م. ن: ٣/٣٨٨.

٨٠) شرح: ٢/٣٩٥.

٨١)م. ن: ٢/٢٧٢.

٨٢)م. ن: ٢/٤١٠.

٨٣)م. ن: ١/٣٠٨.

م. ن: ١/٥٩.

٨٤)م. ن: ١/٢٤١.

٨٥) شرح ٢/٩٨.

٨٦)م. ن: ٣/١٦٥.

٨٧)م. ن: ٢/٣٢٣.

٨٨)م.ن: ٢/١٢١.

٨٩) شرح: ١/٥٢ــ ٥٣.

٩٠)م.ن: ٣/٤١٣.

٩١) شرح: ٢/٨٨٢.

٩٢) حركة المعنى/١٨٦.

٩٣) شرح: ٢/٢٨٥.

٩٤)م.ن: ١/٢٨٩.

٩٥) شرح: ٢/١١٨.

٩٦)م.ن: ٢/٥٤.

٩٧)م.ن: ٣/٥٢٥.

٩٨)م.ن: ٢/١٢٤. ومثله ٤/٢٨.

م. ن: ٢/٢١٠ ومثله ٢/٢٢٢.

٩٩)م.ن: ٢/٣٩٧. ومثله ٣/٥٣٩.

١٠٠)م.ن: ١/٣٠١.

١٠١) شرح: ٢/١٤.

١٠٢)م.ن: ٢/٣٦٤.

١٠٣)م.ن: ٢/٣٨٠.

١٠٤)م.ن: ٤/٣٣١.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١٠٥) شرح: ١/١٧١.

١٠٦) م.ن: ١/١٩٣.

١٠٧) م.ن: ١/٢٠٤.

١٠٨) م.ن: ٢/٣٢٠.

١٠٩) م.ن: ١/١٩٢.

١١٠) م.ن: ٢/١٢١.

١١١) ٢/١٢٢. ومثله ١/٣٠٣.

١١٢) م.ن: ٢/٩٢.

١١٣) شرح: ٢/٢٢٧.

١١٤) م.ن: ٤/١١٦.

١١٥) م.ن: ١/٣٥٧. ومثله ٢/٣٥٢.

١١٦) شرح: ٤/٣٦٦.

١١٧) م.ن: ٣/٣٠.

١١٨) م.ن: ١/٢٠.

١١٩) م.ن: ١/٨٠.

١٢٠) م.ن: ٣/ ٢٦٠.

١٢١) م.ن: ١/٣٥٨.

١٢) م.ن: ٢/٢٨.

١٢٣) شرح: ١/٢٨٥.

١٢٤) م.ن: ٣/٥٠٨.

١٢٥) م.ن: ٢/٢٨٨.

١٢٦) م.ن: ٣/٢٥٣.

١٢٧) م.ن: ٢/١٣١.

١٢٨) شرح: ٢/٣٢٨.

١٢٩) م.ن: ١/٣٥٩.

١٣٠) م.ن: ٣/٤٤٠.

١٣٢) م.ن: ٣/٥٣١.

١٣٣) م.ن: ٢/٢٥١.

١٣٤) م.ن: ٢/٢٥١.

١٣٥) م.ن: ٤/٢١٦ ــ ٢٣٧. ومثله قـــــوله: ٢/٩٢، ٢/٢٢٥، ٢/٤١٨، ٤٦٤.

١٣٦) شرح: ٤/١٥٢.

١٣٧) م.ن: ٣/٥٦١.

١٣٧) م.ن: ٣/٢٣٨.

١٣٩) م.ن: ٣/٢١١.

١٤٠) م.ن: ٣/٣٧٦. ومثلـــــه: ٣/٣٥٧، ٣/٣٨١، ٣/٤١٠، ٢/٣٤٣.

١٤١) شرح: ٢/٤٥٧.

١٤٢) م.ن: ٣/٢٣٨.

١٤٣) م.ن: ٣/٢٥٠.

١٤٤) م.ن: ٢/٢٩١.

١٤٥) م.ن: ١/٣٥٧.

١٤٦) م.ن: ٤/١١٥، ومثاه ٤/٥٨.

١٤٧) م.ن: ٢/٣٠.

١٤٨) شرح: ٢/٣٥٣.

١٤٩) م.ن: ٢/٢٤٣.

١٥٠) م.ن: ٢/٢٦٦.

١٥١) م.ن: ١/١٨٩ ومثله ٣/١٦.

١٥٢) م.ن: ١/٨١.

١٥٣) م.ن: ١/١٤١، ومثله ٢/٤٣٤.

١٥٤) م.ن: ٣/٣٩٧ ومثله ٢/٣٤٧.

١٥٥) م.ن: ١١٧ ــ ٤/١١٨.

شرح: ٢٤٧ ــ ٢٤٩.

١٥٦) م.ن: ٣/٣٥٥.

١٥٧) م.ن: ١٧٤.

١٥٨) م.ن: ٤/٢٤٩.

١٥٩) م.ن: ٤/٧٧.

١٦٠) م.ن: ٤/١٤٦ ــ ١٤٧.

١٦١) شرح: ١/٦٥.

١٦٢) م.ن: ١/١٨٤ ومثله ٣/١٩٣.

١٦٣) م.ن: ٢/٣٢٨.

١٦٤) م.ن: ٣/١٥٢.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١٦٥) م.ن: ١٥٢/٣.

١٦٦) م.ن. : ٤١٨/٣.

١٦٧) م.ن: ٤٨٤/٣.

١٦٨) م.ن: شرح: ٤٦٤/٣.

١٦٩) م.ن: ١٠/٣.

١٧٠) م.ن: ٤٨٧/٣.

١٧١) م.ن: ٤٧٨/٣.

١٧٢) م.ن: ٤٧٩/٣.

١٧٣) م.ن: ٢٤٧/٣.

١٧٤) شرح: ١٧/٤.

١٧٥) شرح: ١٢٠/١.

١٧٦) م.ن: ٢٥١/٢.

١٧٧) م.ن: ٢٧٩/١.

١٧٨) م.ن: ٢٦٤/٢.

١٧٩) شرح: ٣٦١/١.

١٨٠) م.ن: ٤٣٤/١.

١٨١) م.ن: ٤٦٧/٢.

١٨٢) المتنبي وسقوط الحضارة ٧٦/١.

١٨٣) ينظر مقدمة المرزوقي: لشرح الحماسة/٩.

١٨٤) مع المتنبي/٥١.

١٨٥) صيغة التفضيل في شعر المتنبي/١٤٣.

١٨٦) شرح: ٩٠/٢.

١٨٧) م.ن: ٥٦٦/٧.

١٨٨) م.ن: ٤١/٢.

١٨٩) م.ن: ١١/١.

١٩٠) م.ن: ١٠/١.

١٩١) م.ن: ٢٩/١.

١٩٢) شرح: ١٥٤/٣.

١٩٣) م.ن: ٨٢/٣.

١٩٤) م.ن: ٩٩/٤.

١٩٥) مطلع القصيدة في شعر المتنبي/٣٨٠.

١٩٦) شرح: ٢٦١/١.

١٩٧) م.ن: ٣٢/٤.

١٩٨) شرح: ٢٥٧/٢.

١٩٩) م.ن: ١٤/٢.

٢٠٠) مفاعلات الأبنية اللغوية والمقومات الشخصانية في شعر المتنبي/٢٤٥.

٢٠١) المفارقة/٥٧.

٢٠٢) شرح: ٣٢٦/١.

٢٠٣) م.ن: ٤٠٤/٢.

٢٠٤) م.ن: ٤٦٣/٢.

٢٠٥) م.ن: ٥١٠/٣.

٢٠٦) م.ن: ١٦٠/٤.

٢٠٧) م.ن: ٢٤٠/٢.

المصادر والمراجع

١ــ حركة المعنى في شعر المتنبي بين السلب والإيجاب/ د. عز الدين اسماعيل، ضمن كتاب "المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس"، وقائع مهرجان المتنبي، دار الرشيد للنشر/١٩٧٩.

٢ــ حكمة المتنبي/ د. جعفر ماجد/ ضمن كتاب "المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس".

٣ــ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر. ط٤.

٤ــ ديوان أبي نواس/ تحقيق محمود أفندي واصف، القاهرة ١٨٩٨م.

٥ــ الرفض ومعانيه في شعر المتنبي/ يوسف الخناشي/ الدار العربية للكتاب، المطبعة الثقافية تونس، ١٩٨٤.

٦ــ شرح التبيان على ديوان ابي الطيب احمد بن الحسين/ عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي، أبو البقاء العكبري، ط١، المطبعة العامرة الشرقية. ١٣٠٨ هجرية.

٧ــ شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لابي العلاء المعري/ د. عبد المجيد ذياب/ دار المعارف.

٨ــ شرح ديوان الحماسة/ ابو علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي/

تحقيق احمد امين وعبد السلام هارون، ط١، القاهرة، ١٩٥١م

٩ــ شعر دعبل بن علي الخزاعي/ صنعة د. عبد الكريم الاشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.

١٠ــ صيغة التفضيل في شعر المتنبي/ شكري محمد عياد/ ضمن كتاب "المتنبي مالئ الدنيا"

١١ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي/ د. شوقي ضيف/ دار المعارف بمصر ط٩.

١٢ــ مبادئ النقد الادبي /١٠١، رتشاردز/ ترجمة وتقديم د. مصطفى بدوي، وزارة الثقافة والارشاد القومي المصري/ ١٩٦٣.

١٣ــ المتنبي بين البطولة والاغتراب/ محمد شرارة/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١، ١٩٨١ بيروت.

١٤ــ المتنبي شاعر العظمة والطموح/ د. المنجي الكعبي/ ضمن "كتاب مالئ الدنيا".

١٥ــ المتنبي وسقوط الحضارة العربية/ د. عبد السلام نور الدين حماد/ ضمن كتاب "المتنبي مالئ الدنيا".

١٦ــ المثال والتحول/ د. جلال الخياط/ وزارة الاعلام العراقية،١٩٧٧.

١٧ــ المحصول الفكري للمتنبي/ سهل عثمان ومنير كنعان/دار الارشاد بيروت، ط١، ١٧٨٩ ــ ١٩٦٩م.

١٨ــ مطالعات في الكتب والحياة/ عباس محمود العقاد/ ٣٤٣ ــ ١٩٢٤، المطبعة التجارية الكبرى.

١٩ــ مطلع القصيدة في شعر المتنبي/ د. نبيلة ابراهيم سالم/ ضمن كتاب ((المتنبي مالئ الدنيا)).

٢٠ــ معجم مصطلحات الادب/ مجدي وهبة/ مكتبة لبنان، بيروت.

٢١ــ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب/ مجدي وهبة وكامل المهندس/ لبنان ١٩٧٩.

٢٢ــ مع المتنبي/ طه حسين/ دار المعارف بمصر.

٢٣ــ المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيكية/ وليم ري/ ت.د. يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٧ بغداد.

٢٤ــ المفارقة/ د. سي. ميويك/ ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة/ موسوعة المصطلح النقدي، وزارة الثقافة والاعلام/ العراق ١٩٨٢.

٢٥ــ المفارقة/ نبيلة إبراهيم/ مجلة فصول، المجلد ٧ العددان ٣، ٤/ يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٧ بغداد.

٢٦ــ المفارقة وصفاتها/ د. سي ميويك/ ت.د. عبد الواحد لؤلؤة/ دار المأمون.

٢٧ــ مفاعلات الأبنية اللغوية والمقروءات الشخصاتية في شعر المتنبي/ عبد السلام المسدي/ ضمن كتاب ((المتنبي مالئ الدنيا)).

٢٨ــ من خلاص الفرد الى خلاص الجماعة/ د. محمد يوسف النجم/ ضمن كتاب ((المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس)).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى